مِحْنَةُ التَّوْرَاة

على أيدى اليهود

تأليف

عصام الدين حفنى ناصف

الطبعة الأولى

١٩٦٥ م — ١٣٨٥ هـ

مطبعة الرسالة

٣ شارع حمودة ـ المقاولى ـ عابدين

التعريف بالتوراة

تكشف لنا دراسةُ جسم الإنسان عن أعضاء ضامرة آخذة فى الانقراض ما زالت باقيةً فيه إلى الآنِ أثراً من أسلافه الحيوانيّة ، وتكشِف دراسة عقله عن غرائزَ بهيميّة ورِثها منها تتحكم شيئاً فى سلوكه وفى تصريف أموره . وقد كان الناس فى الجاهليّة الأولى ذوى عقول فِجّة[1] تذرُهم يتخبّطون فى دياجيرِ الجهل يَشْدَهُهُم[2] تقلّب ظواهر الطبيعة مما لا يدركون له تعليلا ولا يجدون إلى فهمه سبيلا .

وتراءت طائفة من المتكهّنين والمتنبّئين يرجّمون بالغيب[3] يزوّدون الناس بمزاعمَ مناقضة للحقائق العلميّة وينفثون فى أذهانهم حِكَما مجانفة للخُلُق القويم ، ويسرُدون عليهم قِصصا فاضحة ويُثبتون فى حوافظهم تواريخَ زائفة ، ويلفقون أساطيرَ مضلّلة يفسّرون بها للناس ما أبهم عليهم من الأمور فيزيدونهم تخبّطا وضلالا ، ومن ثم تنوّعت المفاهيمُ الدينيّة وتعدّدت المِلل والنِّحل وأصبح لكل أمّة كتاب مقدّس يوائم عقليّتها ويساير نفسيّتها ويسجّل مستواها الحضارىّ ، فللمصريين

---

(١) الفج من الفواكه وغيرها : ما لم ينضج .

(٢) شده فلانا وأشدهه : أدهشه .

(٣) رجم بالغيب : تكلم بما لا يعلم .

كتاب الموتى وللهنود الفِداس وللفُرس الزِند — أفستا وللمكسيكيين البوبول فوه وهلم جرا . وقد أضاع ألوف الألوف من الناس أعمارهم فى دراسة تلك الكتب وأمضَوا زهرة حياتهم نهبا للمخاوف تؤرّقهم خَشيةُ التعرضّ بعد الموت لعذاب لا يفتُرُ وعقاب لا ينتهى ، وانتياب بعضهم الجنون فى تلك الليالى المرعبة الحافلة بالأشباح والشياطين ، الزاخرة بالجانّ والحيوانات الأسطورية الشوهاء .

وكتاب المبريين المقدّس هو العهد القديم وهو مجموعة أسفار[(١)] تَعاوَرَها زُهاء ألف عام أناسٌ لسنا على بيّنة من أمرهم بيد أنا على ثقة بأن جمهرتَهم ليسوا هم الذين تُنسب إليهم ، وعدّة هذه الأسفار ٣٩ سفراً ، وتسمى الخمسة الأوَل منها بالتوراة أى الشريعة[(٢)] ، وهى تحدِّثنا كيف برأ الله الخليقةَ وذَرَأ البشرَ وكيف قدِم إسرائيلُ وبنوه إلى مصر وأوطنوا بها ، حتى إذا ما تناسلوا وكثُرَ عديدُهم واستشرى أمرُهم وبدأ المصريون يضيقون بهم ويشدِّدون النكير عليهم خفّ إليهم موسى من منفاه الاختيارىّ فى مَدْيَن وشرع ينكِّل بالمصريين الذين أثوَوهم فى ديارهم ، فرماهم بالحشرات وشنّ عليهم حربا بكتيريّة وأمات أبكارهم

(١) أشار القرآن الكريم إلى هذه الأسفار فى قوله :
« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ... »
(الجمعة ٥)

(٢) وثم فرقة من اليهود يعرفون بالسامريين لا يقدسون غير التوراة .

وأغرق جُندَهم ، ثم أخرج بنى إسرائيل يبتغون الأرض الموعودة التى تفيض لبنا وعسلا فضلّوا سبيلهم إليها وهلكوا دونها فى البَيداء وتناثرت أجسادُهم فوقَ أديمها ، فلم يسلم من هذه المِيتةِ الزرِيّة فيهم إلا خادمٌ كان لموسى يُدعى يشوع بن نون .

ونرى فى السِّفر السادس كيف أن يشوع هذا قاد إلى فِلَسطينَ أبناء الذين أبَقوا[1] من مِصرَ . يلى ذلك سِفرُ القضاة وفيه نرى كيف شنّ المغامرون ولوردات الحرب من أمثال شمشون وجدعون على أهل تلك البلاد غاراتٍ مَحلّيّة مظفّرة ويحدّثنا سفر صموئيل بعد ذلك عن مغازى داود وكيف أتمّ تدويخ البلاد . . . الخ الخ .

وكتاب المسيحيّين المقدّسُ هو « العهد الجديد » وهو يضُمّ أربعة أناجيلَ دُوِّنت فى كل منها على نحوٍ ما سيرة يسوعَ المسيح و ٢٣ رسالة سُجِّلت فيها نُتَفٌ من جهاد رسله فى مختلِف الأمصار .

ويؤمن المسيحيّون بالعهد القديم أيضا ، فهو — عندهم — أوّلُ كلام الله والعهدُ الجديد آخرُ كلامه ، ذلك أن الأناجيل جاءت مصدِّقةً لما قبلها ، ولهذا كان المسيحيّون يعترفون بما قبلهم (اليهوديّة) وينكرون ما بعدهم (الإسلام) وكذلك يجحد اليهود بما بعدهم

(١) أبق : هرب من سيده ، ومنه « فى رقابهم الرباق ومن شأنهم الإباق » .

(المسيحيّة) . وقد جرى الكاثوليك منذ المجمع التريدِنْتيني[1] على تقديس العهدَين القديم والجديد لا يستثنون من ذلك حتى الأسفارَ غيرَ الوثيقة[2] . قال أحد القساوسة : الكتاب المقدّس (يعنى العهدَين معا) هو صوتُ الجالس على العرش ، كل سفر من أسفاره أو إصحاح من إصحاحاته أو آية من آياته هو حديثٌ نطق به الكائن الأعلى وهو معصوم من الخطأ .

وقد ذُكرت التوراة والإنجيل فى القرآن ، وبلغت مرّاتُ ورود « التوراة » فيه ١٨ مرّة ، أما « الإنجيل » فقد جاء ذكره فى الذكر الحكيم ١٢ مرّة ، ومن ذلك[3] :

---

(١) اجتمع هذا المجمع الكنسى من البابا واليسوعيين وغيرهم من الكاثوليك وعقد جلسات متفرقة خلال المدة بين سنتى ١٥٤٥ و ١٥٦٣ فى مدينتى ترنت وبولونيا بشمال إيطاليا للاضطلاع بإصلاح فى نطاق الكنيسة الكاثوليكية ، وكان ذلك منهم فى مواجهة الإصلاح البروتستنتى الخطير .

(٢) أى غير الموثوق بهـا وهى التى تسمى فى اللغـات الأوربيـة باسم أبوكريفا Apocrypha .

(٣) وذلك عدا المرات التى أشار القرآن فيها إليهما تضميناً وتكنية عنهما بلفظ الكتاب أو الكتب كقوله :

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزله على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » .

(النساء ١٣٦)

« إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتُلون ويُقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآنِ ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلكَ هو الفوز العظيم » .

التوبة ١١١

« نزل عليك الـكتاب بالحقّ مصدّقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل » .

آل عمران ٣

« الذين يتّبعون الرسولَ النبيَّ الأُمِّيَّ الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل . . »[١] .

الأعراف ١٥٧

---

(١) أورد مولاى محمد على رئيس الرابطة الأحدية لإشاعة الإسلام بلاهور بالهند فى كتابه « محمد رسول الله » آيات من التوراة والإنجيل يرى أنها تبشر بمجىء سيد المرسلين ، ومنها :

« وحى من جهة بلاد العرب : فى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين . هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء . وافوا الهارب بخبزه . فإنهم من أمام السيوف قد هربوا » .

(أشعيا ٢١ : ١٣ — ١٥)

وعنده أن الهرب المذكور آنفا إن هو إلا هجرة النبي وصحبه من مكة إلى يثرب (المدينة) .

« . . . وقفّينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل » .

الحديد ٢٧

وقد فهمَتْ جمهرةُ المسلمين من هذه الآيات أن الله أنزل على أصحاب الأديان السماوية الثلاثة كتبا متشابهة ، وبذلك يكون هناك إنجيل واحد[1] لا أناجيلُ متعدّدة ، وفى هذا الإنجيل الواحد يتحدّث الله نفسه بما يريد أن يبلغ الناس إياه ، وحيا إلى نبيه . وهذا الوصف لا ينطبق على الأناجيل التى بين أيدينا لأنها :

١ — متعدّدة .

٢ — يُعزَى كل منها إلى رجل من أتباع يسوع لا إلى يسوعَ نفسِه .

٣ — وهى تُظهِرنا على سيرة يسوع ، فهى لا تُشبه القرآن فى شىء بل هى أشبه ما تكون بكتب السيرة النبوية عند المسلمين .

= على أن سفر أشعيا ليس من التوراة (بأضيق معانى الكلمة) بل هو من العهد القديم .

ومن تلك الآيات أيضاً :

« لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم » .

(يوحنا ١٦ : ٧ — ٨)

(١) ولقد وردت كلمة « الإنجيل » بصيغة المفرد فى بعض آيات العهد الجديد ، منها :

« ... عالمين أنى موضوع لحماية الإنجيل » .

(فيلبى ١ : ١٤)

٤ — هذا إلى جانب ما يشوبها من المعايب والمثالب ، فكل منها مناقض لنفسه مناقض لسائر الأناجيل[1] مناقض للمعلومات المقرّرة في العلم والتاريخ .

وهي ، فضلا عما تقدّم ، تخالف القرآن في أمور جوهريّة كالقول بألوهية عيسى وصلبه والإمساك عن التبشير ببعثة محمد[2] كما تخالفه في معجزاته ومعجزات رسله إلى الأقطار المجاورة .

فإذا كان ما فهمه المسلمون صحيحا فإن الأناجيل الأربعة المتداولة بين المسيحيين هي شيء آخرُ غير ذلك الإنجيل الذي يشير إليه كتاب المسلمين[3] .

---

(١) وقد أوردنا عشرات من هذه المتناقضات التي لا سبيل إلى التوفيق بينها في كتاب مخطوط لنا عنوانه : يسوع المسيح إله أم بشر وحقيقة أم أسطورة .

(٢) « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ... » .
(الصف ٦)

(٣) قال الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه « قصص الأنبياء » :
« فأين يوجد اليوم إنجيل للمسيح الذي ذكره القرآن ؟
إن الإنجيل الذي أتى به المسيح وسلمه إلى تلاميذه وأمرهم أن يبشروا به ، لا يوجد الآن وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من النسخ والتشويه بالزيادة والحذف » اهـ .

والأمر كذلك فيما يتّصل بالتوراة التي يشير إليها القرآن ، ولا غَروَ في ذلك فإنه إذا كانت الأحوال والملابسات السائدة قبل ٢٠ قرنا قد بلغت من الفوضى حدّا يسمح بتضييع كتاب الله فلا ريب أنها كانت قبل ذلك بـ ١٥ قرنا أخرى أكثر فوضوية ، ولا ريب أن المتبربرين الذين أشربوا في قلوبهم العجل[١] فأنزلت التوراةُ لهدايتهم دون جدوى — لم يكونوا أهلا أن يؤتمنوا على كلام الله سواءٌ أكان منقوشا في ألواح حجريّة أم مكتوبا على الرُّقوق[٢] وما إليها . أما التوراة الحاضرة فإنها في جملتها تشهد على نفسها بأنها ليست من عند الله ، وبأنها لا تبلغ أن تكون من يراعة إنسان وَزين[٣] العقل مهذّب الطبع له مشاركة في العلم والفلسفة والأخلاق ، بل إن كل سفر من أسفارها الخمسة ينادى بأنه من تحبير أحبار اليهود .

---

(١) أشربوا حب فلان أى خالط حبه قلوبهم :

« ... قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين » .

(البقرة ٩٣)

ومعنى الآية أنه قد امتزج حب عبادة العجل بدمائهم بسبب كفرهم .

(٢) الرق (بالفتح) : جلد رقيق يكتب فيه .

والأمر كذلك فيما يتّصل بالتوراة التي يشير إليها القرآن ، ولا غَروَ في ذلك فإنه إذا كانت الأحوال والملابسات السائدة قبل ٢٠ قرنا قد بلغت من الفوضى حدّا يسمح بتضييع كتاب الله فلا ريب أنها كانت قبل ذلك بـ ١٥ قرنا أخرى أكثر فوضوية ، ولا ريب أن المتبربرين الذين أشربوا في قلوبهم العجل[1] فأنزلت التوراةُ لهدايتهم دون جدوى — لم يكونوا أهلا أن يؤتمنوا على كلام الله سواءٌ أكان منقوشا في ألواح حجريّة أم مكتوبا على الرُّقوق[2] وما إليها . أما التوراة الحاضرة فإنها في جملتها تشهد على نفسها بأنها ليست من عند الله ، وبأنها لا تبلغ أن تكون من يراعة إنسان وَزين[3] العقل مهذّب الطبع له مشاركة في العلم والفلسفة والأخلاق ، بل إن كل سفر من أسفارها الخمسة ينادي بأنه من تحبير أحبار اليهود .

---

(١) أشربوا حب فلان أي خالط حبه قلوبهم :

« ... قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين » .

(البقرة ٩٣)

ومعنى الآية أنه قد امتزج حب عبادة العجل بدمائهم بسبب كفرهم .

(٢) الرق (بالفتح) : جلد رقيق يكتب فيه .

(٣) يقال هو وزين الرأي أي أصيله أو رزينه .

أغراض التوراة

ولا يعزُبْ عن لبِّ المرء وهو يقلّب أسفار العهد القديم أن لبعض هذه الأسفار أغراضا مقصودة ، فسِفْر إستير — مثلا — يقوّى نزوع اليهود إلى التعصّب الدينيّ والعنصريّ وينفُث رُوح الحقد والسخيمة على الأمم الأخرى و يسوّغ تأريث الفتن و المذابح فيها واستئصال شأفة مناوئى اليهود أينما كانوا ، وذلك على حين أن سِفْر راعوث ، بخلاف ذلك ، يجنح إلى التسامح فى موضوع الزواج بالأجنبيّات ، إذ نرى إسرائيليا يتزوّج فتاة مؤابيّة تحبوه بولائها ووفائها وتمحضه وُدَّها ، وتلد له عوبيد أبا يسّى ،ويسّى هو أبو الملك داود بطل اليهود ورافع لوائهم .

ومن يقتصّ القصصَ التى تقَصُّ بها التوراةُ واحدةً تلو أخرى يُدركْ أنها ليست مجموعةَ قصص لحوادث مستقلّةٍ كتبت لذاتها بل هى خرزات متتابعة فى سِمْط[1] واحد رُتِّبت فى مواضعها على نسق مقصود لتنتهىَ إلى غاية ماثلة نُصبَ عين الكاتب

١ — وهى تبدأ بنبأ ابنَى آدمَ إذ أودى أحدُهما بأخيه ثم سرَب[2]

---

(١) السمط : الخيط مادام الخرز ونحوه منظوما فيه .

(٢) سرب فلان فى الأرض : ذهب على وجهه فيها ومضى ، يقال « هو يسرب النهار كله فى حوائجه » .

في الأرض هائماً على وجهه ملعونا من الخالق مجفوًّا من الخليقة .

٢ — ورُزق آدمُ بابن ثالث كان هو الأبَ الأعلى لمن عَمَروا الأرض في تلك الحِقْبة الباكرة ، ويبدو أنهم لم يكونوا أحرياء بالإقامة في ربوعها فاجتاحهم الطُوفان وأباد بقيّة عشرة أجيال متتابعة من ذراريّ آدمَ فلم يَبقَ في قَيد الحياة إلا من أقلّتهم السفينة وهم نوحٌ وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الأربع ، وبذلك يكون كل من على ظهر البسيطة في الوقت الحاضر من أرومة(١) نوح(٢) ، وكأنما كان الله قد برَأ آدم

---

(١) الأرومة : أصل الشجرة ويستعار للحسب ، يقال « نفس ذات أكرومة من أطيب أرومة » .

(٢) وهذا الذى تقول به التوراة يخالف ما جاء به القرآن . وتانك مسألتان يتجلى فيهما وجه الخلاف :

١ — أن القرآن لم يثبت أن الطوفان عم الأرض من أطرافها جميعا وأغرق الخلق قاطبة . وإذا كان لم ينف بصورة قاطعة فكرة الطوفان العالمى العميم ، فإنما كان ذلك لأنها فكرة خطلاء خرقاء لا تجوز بعقول الألباء (وقد أسهبنا في مناقشة هذه الفكرة في رسالة مخطوطة أفردناها لموضوع الطوفان) . ويترتب على ما تقدم أن الأرض حافلة في وقتنا هذا بأمم ليسوا من ذرية نوح .

٢ — أنه أنبأ بأن واحدا من أبناء نوح هلك مع الكافرين .

« وهى تجرى بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء . قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم . وحال بينهما الموج فكان من المغرقين »

(هود ٤٢ — ٤٣)

وذلك ما لم تقل به التوراة .

وذرأ(١) ذريَّتَه باطلا ثم جبّهم(٢) بالطوفان و بدأ الجنسَ البشرىّ كرّة أخرى بنوحٍ وبنيه .

٣ — بَيْدَ أن بنى نوح كانوا ثلاثة ، وإنه لعدد كبير لا غنَى عن اختزاله ، وقد تمّ ذلك بإخراج حامٍ من عِداد الأسرة .

لقد كان ذلك أمرا لا مناصَ منه لأن حاما هو أبو الجنس الذى انحدر إلى مِصرَ وما يليها من الجنوب . وقد عاش بنو إسرائيل دوما يمدّون أبصارهم ويشرئبّون(٣) بأعناقهم إلى رافد مصر العظيم الذى يُفيض عليها الماء ويُفِضّ لها العطاء ، ويَشْرَهون إلى ما اختُصّت به من حقول فاشية الغلاّت وجنّات يانعة الثمرات . وقد شنّوا عليها الغارة تلوَ الغارة وشدّوا على جيشها فدحرهم وأجلاهم صاغرين .

ولما أخفقوا فى خَضْد(٤) شوكة مصر انثنَوا يهوِّنون من مجدها

(١) ذرأ الله الخلق : خلقهم . ذرأ الشىء : كثره ، ومنه « والله يذرأكم فيه » : أى يكثركم بالتناسل .

(٢) جب الشىء : قطعه ، ومنه قولهم إن الإسلام يجب ما قبله .

(٣) اشرأب إلى الشىء : مد عنقه لينظر أو ارتفع ، وأصله عند شرب الماء حتى يتهيأ له ثم كثر حتى استعمل فى رفع الرأس ومد العنق عند النظر ولهذا عدى مثله بحرف الجر « إلى » .

(٤) خضد العود : كسره . خضد الشجر : قطع شوكه .

الذى لم يكن لهم من سبيل إلى النيل منه وانبرَوا يتخرّصون[١] على فرعونها المفترَى عليه .

وقد تسنَّى لكتبة التوراة أن يستبعدوا كنعان بن حام من رحاب الأسرة النُّوحِيّة بذلك الفصل الهازل الذى ختموا به سيرة أبيه ولوّنوا فيه اسم ذلك النبيّ الجليل الذى اقتصّ الله له من شانئيه بإغراق الكوكب الأرضىّ بمن عليه ثم أنجاه هو وأولادَه دون سائر أهل الأرض واجتباه[٢] ليكون أبا للجنس البشرىّ كلّه . وفحوى هذا الفصل أن نوحا جعل يَعُبّ من أقداح الخمر حتى ثَمِل فتشابك جفناه وملكته عيناه فاستلقى على فِراشه ولم يكن عليه ما يحجُب سوأتَه ، ومرّ حينئذ حامٌ فشاهد هذا كبيرَ أبيه فلم يملك إلا أن يضحك ثم أخبر أخويه بالأمر يتفكّه بذلك فى عالَم خِلوٍ من أسباب الترفيه والتسرية . فدلَف الأخوان إلى أبيهما يستران عورته وقد غضّا من بصريهما — كرّم الله وجهيهما — فلم يتطلّعا إليها ، حتى إذا ما صحا من رقاده وأفاق من خُماره[٣] بادر إليه ابناه المهذّبان يَشِيان إليه بأخيهما ويَحملانه عليه ، ولم يزالا به حتى تمعّر[٤] وجهه وبدرت منه لعنة حاسمة .

---

(١) تخرص عليه : افترى وكذب .

(٢) اجتباه : اختاره واصطفاه لنفسه ، ومنه « وكذلك يجتبيك ربك » .

(٣) الخمار (بالضم) صداع الخمر وأذاها وبقية السكر ، قيل للأخطل « ماذا يعجبك من الخمر فإن أولها مُرار وآخرها خمار » .

(٤) معر وجهه فتمعر : غيره غيظا فتغير وعلته صفرة ، وأصله قلة النضارة

« فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم » .

تكوين ٩ : ٢٥ — ٢٦

ومعنى ما تقدّم أن الإسرائيليّين الساميّين يريدون أن يتّخذوا من الكنعانيين عبيدا لهم . ويبدو من السياق أن كلمة « عبيد » هنا تفيد إلى جانب معنى العبوديّة معنىً آخَرَ هو سوادُ البشَرة[1] .

وقد كان العدل والمنطق يقتضيان ذلك الشيخَ الجليل ألا يصبّ تلك اللعنةَ الحامية على حفيده البرىء كنعانَ بل يشنّها على ابنه الخاطىء حامٍ ، وأنّى له ذلك والكنعانيّون هم المقصودون بأعيانهم لأنهم أصحاب فِلَسطين التي لبث الإسرائيليّون دهورا يحلُمون بها

= وعدم إشراق اللون وهو الجدب الذى لا خصب فيه . أمعر القوم : أجدبوا . أمعرت الأرض : لم يكن فيها نبات أو قل نباتها .

(١) وقد عرض ابن خلدون ، المتوفى بمصر سنة ١٤٠٦ م فى مقدمته المعروفة ، لأثر البيئة فى اختلاف ألوان الناس وتباين أخلاقهم ، فقال :

« وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لهم بطبائع الكائنات أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها فى لونه . .

وفى القول بنسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرها فى الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات ، وذلك أن هذا اللون شمل أهل الإقليم الأول والثانى من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب ، فإن الشمس تسامت رءوسهم مرتين قريبة إحداهما من الأخرى فتطول المسامتة عامة الفصول فيكثر الضوء لأجلها ويلح القيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لإفراط الحر » .

ويتوقون إلى غِشيان مروجها الزاهرة وجَنْيِ زروعها الناضرة وتتحلّب أفواههم شهوةً لما تفيض به تلك البلاد من لبن وعسل .

٤ — وهكذا أزيح حامٌ عن الطريق ، أما يافثُ فقد مضى يضرب صَوبَ الشرق متوغّلا فى مجاهل آسيا ، فغدا بنجوة من التلوّث بأوضار(١) هذا المصطرَع الرهيب وكفى الله المؤمنين القتال . وبهذا وذاك انعقد لواء الإمارة على الأسرة النوحيّة لسام وللجنس الساميّ من بعده .

٥ — كان أبرز رجال الجنس الساميّ فيما وَلِيَ ذلك الزمن أبرامُ وابن أخيه لوط ، فأما لوط وقومُه فقد استطابوا متعة الجنس فى أبشع صورَها فكانوا قوما بُوراً(٢) عصفت بأرواحهم كارثة ما : انفجار بركانىّ أو اشتعال فى مَنَزّات(٣) النِّفْط المتناثرة فى تلك الأصقاع ، ولم يستحيي الله من أهل المؤتفكات(٤) غيرَ لوط وابنتيه . ويستفاد من التوراة أن ثلاثتهم لم يكونوا خيرا ممن أودت بهم الكارثة ،

(٢) الوضر (محركة) : وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء والقصعة وأثر الطعام فى الصحفة .

(١) البور : الرجل الفاسد والهالك لا خير فيه ، ومنه « ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا » .

(٢) نقصد بالمنزة : الأرض يكثر فيها نز الماء فيصبح كالمستنقع ، والمراد بها هنا الأرض التى يتحلب منها النفط .

(٣) وقد أسماها القرآن هذا الاسم لأنها ائتفكت بأهلها أى انقلبت بهم .

نقل الطبرى عن عن ... عن وهب بن منبه وهو من مسلمة اليهود =

بل لعلهم بذّوهم فى اجتراح الفاحشة ، فإذا كانوا قد نجَوا بأبدانهم فإنما ذلك لأن نجاتهم كانت ضرورةً لا غُنية عنها لتهيئة الجوّ لاكتساب إثم أشدَّ بشاعة وأعظم هولا ، إذ طفق رسول الله هذا يتعبّب(١) الخمرَ حتى طار عنه صوابه فإذا هو ينزو(٢) على ابنتيه نَزْوَ البهيم المغتلم(٣) مفترِعا(٤) إحداهما إثْرَ أختها فى ليلتين متعاقبتين .

ويستنبط من هذه القصّة أن بنى آدم لم يزالوا منذ هبوط أبيهمُ الأرضَ يتمرّغون فى التراب ويرتطمون(٥) فى الوحَل ، ولم تزل المقاذر تنثال على رءوس الشعوب التى ليست بإسرائيل .

= فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض فقلبها » .

ومن السدى :

« نزل جبرائيل عليه السلام واقتلع الأرض من سبع أرضين فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا حتى سمع أهل الجنة نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ثم قلبها فقتلهم جميعا ، فذلك حين يقول « والمؤتفكة أهوى » أ هـ .

(١) تعبب الشارب النبيذ : ألح فى شربه ، تقول « تركته يتعبب النبيذ » أى يتجرعه بكثرة .

(٢) نزا : وثب . والنزو : الوثب إلى فوق ، ومنه نزو التيس فى معنى السفاد ، ومنه حديث على « أمرنا ألا ننزى الحمر على الخيل » .

(٣) اغتلم الرجل : غلب شهوة .

(٤) افترع البكر : افتضها .

(٥) ارتطم فى الوحل : وقع فيه .

فلنتابع القراءة :

« فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين إلى اليوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بَنْ عمّى . وهو أبو بنى عمون إلى اليوم » .

تكوين ١٩ : ٣٦ — ٣٨

وهذا هو مَربَطُ الفرس :

لقد عُرف شعبا موآب وبنى عمّون بصلابة الراس وصعوبة المراس (١) وما انفكّا منذ القديم يصُبان الحرب لبنى إسرائيل ويدحَرانهم وينزلان بهم أكبر الخسائر فوجب على كتّاب التوراة أن يتلقّحوا (٢) عليهما ويمرُجوا (٣) ألسنتهم فى أعراضهما ويُلصقوا بهما أقبح المثالب ولم يكن ثمّ مثلبة أقبح من النغولة (٤) ، وإنها لموبقة (٥) تحرم من يتّصف بها

(١) مارسه : عالجه وزاوله وعاناه وشرع فيه . هو يعانى مراس العمل : أى معالجته . هو سهل المراس : أى هين المأخذ .
(٢) تلقح فلان على فلان : تجنى عليه بما لم يفعل ولم يقل .
(٣) مرج لسانه فى أعراض الناس : أطلقه فى ذمهم واغتيابهم .
(٤) نغل الأديم (بالكسر) : فسد فى الدباغ . نغل المولود (بالضم) : فسد نسبه . النغل : ولد الزنية لفساد نسبه . البغل (بأوسع معانى الكلمة) : كل حيوان أبوه من جنس وأمه من آخر ، ويقال « تزوج فى بنى فلان فبغل أولادهم » .
(٥) أوبقه . اهلكه ، يقال « أوبقت فلانا ذنوبه » أى أهلكته .

حقوقه بوصفه إنسانا وتذره يعيش عمره شريدا طريدا ، فإذا ما رُزق أولادا أورثهم هذا الإصرَ[1] الفادح[2] .

« لا يدخل ابن زنى جماعة الرب حتى الجيل العاشر .

لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب » .

تثنية ٢٣ : ٢

لقد افتروا على هذين الشعبين الأبيّين ولم يزَعهم وازع ، فى سبيل حبك فِريتهم ، عن الاستطالة فى عِرض نبيّ معصوم ليس بِمَظِنَّةِ أن يأتىَ مثل هذه الزَّلّة .

٦ — وقُصارى القول أن أولئك الكتّاب قد تسنّى لهم بهذا الختام ، الذى ذيّلوا به قصة لوط فسلبها مغزاها وأفقدها قيمتها ، أن يُخرِجوا لوطا وذرّيته من عِداد الفضلاء ، فلم يبق بين الساميّين من أهل الفضلاء غيرُ رجل واحد هو أبرام ، فاتّخذه الله خليلا .

« فآمن ابراهيم بالله فحُسب له برا ودُعى خليل الله »

يعقوب ٢ : ٢٣

---

(١) الإصر : الثقل و — الذنب .

(٢) فدحه الأمر : أثقله وأبهظه ، يقال « نزل به أمر فادح وركبه دين فادح » .

ووعده بأن يعاضدَه فى كل نزاع يشتجر بينه وبين غيره كائنا من كان مناوئوه وكائنا ما كان جوهر النزاع .

« وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه »

تكوين ١٢ : ٣

وآتاه الله موثقا أن يهَبَ لذرّيته ما بين النيل والفرات وهى أطيب بقاع العالم المعروف فى ذلك الوقت .

« و ظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض . فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له »

تكوين ١٢ : ٧

« فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

تكوين ١٥ : ١٨

٧ — ورُزق إبراهيم ولدين هما إسماعيل وإسحق ، وأولهما ابن أَمَةٍ مصريّة تدعى هاجر وقد طردته هو وأمّه سيدتهما سارَةُ فأقاما بمنأًى عنها .

« وسكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر حينما تجىء أشور »

تكوين ٢٥ : ١٨

ولم يكن إسماعيل عند اليهود برجل ذى وزنٍ ، حتى لقد نعت الله أخاه إسحق بأنه الابن الوحيد لإبرهيم .

« ثم مد إبرهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرّب من السماء وقال إبرهيم إبرهيم فقال هأنذا . فقال لا تمدّ يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا . لأنى الآن علمتُ أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى » .

تكوين ٢٢ : ١٠ — ١٢

٨ — ونَسَل إسحق ولدين توأمين : عيسو ويعقوب . وقد أبصر عيسو النورَ قبل أخيه بلحظات فهو الابن البكر والأخ الأكبر وماله من الحقوق عند اليهود مثلُ ماله عند الإقطاعيين الإنجليز ، فلا بدّ إذن لكى تجرىَ القصّة فى مجراها المرسوم أن يتخلى هذا الابنُ البكر لأخيه عن حقّه فى البكورية ، وما أهوَنَ هذا على كتّاب التوراة .

كان عيسو يعيشُ عيشَ أهل البداوة فهو يجوب القفارَ حابلا نابلا إذا أهدف [١] منه الصيدُ أصماه [٢] بسهم أو احتبله بحبالة ، فى حين كان يعقوب أقربَ إلى أهل الحضر منه إلى سكان الوبَرِ [٣] ، فهو يسكن

---

(١) أهدف منه الشيء : عرض له . أهدف منه : دنا وانتصب واستقبل ، ومنه قولهم « من صنف فقد استهدف » أى انتصب كالغرض يرمى بالأقاويل .

(٢) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٣) الوبر (محركة) : هو الابل والأرانب ونحوها كالصوف للغنم . أهل =

فى الخيام ويتفنّن فى ألوان الطعام . مرّ به أخوه يوما وهو طاو[1] خاو[2] يتلعلع[3] من الجوع ، وفغمت[4] خيا شيمه زبحُ الطعامً فتحركت شهوته إليه فالتمس من أخيه أن يُشرِكه فيه فاهتبل[5] يعقوب جوعةَ أخيه وساومه فى بكوريّته فباعه عيسو إياها بصحفة من العدس .

« وطبخ يعقوب طبيخا فأتى عيسو من الحَقل وهوقد أعيا. فقال عيسو ليعقوب أطعمنى من هذا الأحمر . لأنى قد أعيَيْتُ . لذلك دُعىَ اسمهأدوم[6] فقال يعقوب بعنى اليومَ بكوريّتك... فباع بكوريّته ليعقوب . فأعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس . فأكل وشرب وقام ومضى »

تكوين ٢٥ : ٢٩ — ٣٤

= الوبر : أهل البدو وهو خلاف المدر أى الطين ، ويطلق على المدن والقرى لأن بنيانها من الطين ، يقال « ما رأيت فى الوبر والمدر مثله » .

(١) طوى فلان : جاع ولم يأكل شيئا .

(٢) خوى : تتابع عليه الجوع وخلا جوفه من الطعام .

(٣) بات يتلعلع من الجوع : تضور واضطرب .

(٤) فغمه الطيب : سد خياشيمه ، تقول « ريح تفغم الخياشيم » أى تملأها .

(٥) اهتبل الصيد : بغاه وافترصه ، وفى الحديث « من اهتبل جوعة مؤمن » أى تحينها واغتنمها .

(٦) وقد اشتق اسم آدم ، وهو فى العبرية أدمه — فيما يقال — من فعل معناه « يحمر » وقد يكون مرد ذلك إلى ثرى فلسطين الأحمر .

ولما شاخ إسحقُ وكلّت عيناه خدعه يعقوب عن نفسه وارتدى ملابس أخيه وزعم لأبيه أنه عيسو .

« فشمّ رائحة ثيابه وباركه . وقال انظر . رائحةُ ابنى كرائحة حَقل قد باركه الرب . فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليُستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيدا لإخوتك وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين »

تكوين ٢٧ : ٢٧ — ٢٩

وعندما علم عيسو (أدوم) بما جناه عليه أخوه جعل ينوح ويوول ويجأر بالشكوى ، وكان جديرا بإسحق أن يؤسِّيَه ويجبر خاطره الكسير ولكنه بدلا من ذلك ولغير ما سبب معلوم طفِق يزجره وينتهره ويلعنه ويدعو عليه .

« . . . هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك . وبلا ندى السماء من فوق . وبسيفك تعيش . ولأخيك تستعبد . . . »

تكوين ٢٧ : ٣٩ — ٤٠

وها هى ذى خاتمةُ المطاف . فاز يعقوب بحقّ البكورية وظفر

ببركة أبيه ودعواته المستجابة وباء عيسو (أدوم) بالبؤس والمهانة وآلت حقوقه إلى أخيه .

« ويكون أدوم ميراثا »

عدد ٢١٤ : ٨

ولقى يعقوب يهوه متمثلا إنسانا فصارعه وأوشك أن يظهر عليه لولا حركة مخالفة للأصول ، وتقدم إليه يهوه بأن يغير اسمه فيجعله إسرائيل .

« فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت »

تكوين ٣٢ : ٢٨

٩ — وكان إسرائيل هذا مزواجا ، ولدت له زوجاته اثنى عشر ولداً هم آباء القبائل المعروفة بالأسباط . وقد أحب الله بنى إسرائيل وحباهم برضوانه وفضلهم على العالمين ، ولا غرو فى ذلك فقد برأهم ليكونوا شعبه المختار ، أما سائر الشعوب فقد خلقوا عرضا فى أثناء ذلك فهم أشبه شىء بالنخالة (الردة) تتخلف نفاية[1] غير مقصوده عندما يغربل

(١) نفاء الشىء ونفايته (بالفتح ويضم) ما نفيته منه لرداءته ، يقال « فلان من نفايات القوم » أى من أرذالهم .

الدقيقُ ابتغاء الحُوَّارَى (١) . وهذه الشعوب تعترض مسيرة شعب الله المختار نحو الأرض المختارة ، وهي بذلك تعترض مشيئة يهوه ، إذ أن إيطان بني إسرائيلَ بأرض الميعاد هو غاية القصد والمراد لرب العباد .

وقد انقضّ بنو إسرائيل على تلك الشعوب الوادعة وجعلوها جَزَرا (٢) لسيوفهم .

وصفوةُ القول أن كتّاب التوراة لم يدوّنوا هذه القصص المتسلسلة اعتباطا (٣) ، بل إنهم ابتدعوها وسلسلوها ليصلوا بها إلى غاية لهم ما فتئوا يضعونها نُصبَ أعينهم ، هي إثبات أن الله إنما خلق هذا الكون من أجل الأرض (٤) وأنه إنما خلق الأرض من أجل آدم وبني

---

(١) الحوارى : الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق .

(٢) الجزرة : الشاة السمينة . الجزر : ما يذبح من الشاة ذكراً كان أو أنثى ، واحدتها جزرة . جزر السباع : اللحم الذي تأكله :

إن يفعلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

(٣) اعتبط الذبيحة : نحرها من غير علة وهي سمينة فتية . والاعتباطي اصطلاحا (عند النحاة) : ما كان لغير علة .

(٤) كان القدماء يتوهمون أن الأرض مركز الكون ، وأن سكانها هم منتهى الغاية من وجوده ، وعندهم أن الشمس والقمر والكواكب إن هي إلا مصابيح لإنارة الأرض .

« فعمل الله النورين العظيمين . النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل . والنجوم . وجعلها الله في جلد السماء لتنير الأرض » .

(التكوين ١ : ١٦ — ١٧) =

آدم[1] ، ولقد خلق هؤلاء ليعودَ فيُبيدَهم ويقطعَ دابرَهم ، لا يُبقى منهم غيرَ نوح وبنى نوح ، وخلق هؤلاء ليختارَ من بينهم ساما ثم يختار من حفَدته إسرائيل وبنى إسرائيل .

وقد آمن بنو إسرائيل بهذه الخزعِبلات وانتفخت أوداجُهم من غرور وتبجُّحٍ فتوهموا أنهم شعب مقدّس ..

« لأنك أنت شعب مقدّس للرب إلهك . إياك قد اختار

= وأن الكواكب السيارة مثبتة فى أفلاك مادية شفافة (كأنها أحزمة من البلور) تدور حول الأرض .

وقد دام هذا الاعتقاد الباطل دهرا طويلا ، وكانت الكنيسة المسيحية فى القرون الوسطى تدعمه وتذود عنه حتى جاء كوبرنيكس (١٤٧٣ — ١٥٤٣ م) فأهوى بالضربة الأولى على هذا المعتقد وفند نظريات أرسطو فى هذا الشأن ، وتلاه جيوردانو برونو فأحرقوه سنة ١٦٠٠ م ، ورفع لواء الحق الفلكى الإيطالى الفيلسوف جاليليو جاليلى (١٥٦٤ — ١٦٤٢ م) فأودعوه المطبق (السجن تحت الأرض) والفلكى الألمانى يوهان كبلر (١٥٧١ — ١٦٣٠ م) . وقد تصدت البابوية لكل ما يذاع من الآراء العلمية وجعلت تنكل بأصحابها ومشايعيها ، وبقيت الحال على هذه الوتيرة حتى انفجرت الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٨٩ م فعصفت بالإرهاب الدينى وأطلقت البحث العلمى من عقاله .

(١) وهو رأى مجاف للصواب فإن الكوكب الأرضى وغيره من أجرام السماء لا تحفل بالإنسان ولا تعنى بشؤونه ، وقد عاشت الأرض قبل أن يعمرها الإنسان دهورا . ولئن هلك الناس كافة إنها لتظل ماضية قدماً فى مدارها الازلى الأبدى مستدفئة فى النهار بأوار الشمس مستضيئة فى الليل بسنا القمر :

ومهما كان فى دنياك أمر * فما تخليك من قمر وشمس

(أبو العلاء)

الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض »

تثنية ٧ : ٦

وحسِبوا أن من حقّهم أن ينظروا إلى غيرهم من أجناس الناس على أنهم أقوام منبوذة ، ومن ثم صدفوا عن دعوة غيرهم إلى الدخول في دينهم حتى لا يلابسَهم المتهوّدون الجُددُ فيفُسدوا عليهم دمَهم الأزرقَ ويطأمنوا[1] لهم قصبةَ أنفهم الأقنى : آيةِ انتمائهم إلى دَوحة النبوّة .

لقد ظلّوا حِراصا على التفرقة العنصريّة الذميمة حتى جاء بولس الرسول على رأس المسيحيّين الأوّلين فنبذها ظِهرِيّا وأحال الدين القوميّ دينا عالميا .

١٠ — وحقا إن الكهنة قد أفضَوا إلى الشعب الإسرائيليّ بأن الله خلق العالَم كلَّه مَن أجلهم ، ولكن لا يفوتنا أنهم — مع ذلك — أمسكوا عن الإفضاء إليهم بالحلْقة الأخيرة من السلسلة ، وهى أن الله إنما خلق بنى إسرائيلَ ليؤدُّوا الإتاواتِ إلى كبير الكهنة هرونَ وذراريه كتّاب التوراة .

(١) طأمن ظَهره وطأمنه : حناه وخفضه .

بواعث التزوير

وأيًّا ما كان الأمر فإن هذه التوراة — على علاّتها — لم تبق محتفظة بنصّها الأصيل، بل كانت فريسة للعبث على تواصل ألف من السنين تعاوَرها فيها الحذف والإضافة.

فأما الحذف فلاستبعاد ما كان قيل فى زمن غابر ثم دارت السنون والأيام فأصبح لا يوائم الأوضاع الطارئة ولا يُسيغه الوعىُ الجديد، وكذلك لإخفاء حكايات تفضح أناسا من رجال الدين وتَشين رجال الكهنوت بوجه عام وتلحق بهم من الضُرّ أكثر مما يفوّته حذفُها على جمهرة القارئين من النفع كما هى الحال فى قصة « شوشانا »[1].

وأما الزيادة في المتون المقدّسة فمن الممكن إجمال دواعيها على النحو الآتى :

---

(١) (ومعربها سوسن) وهى عذراء فى فتاء السن سليلة تاجر كبير وافر الثراء أحسن القيام على تربيتها فشبت نقية القلب ناصعة الجيب طاهرة الذيل، أقبلت يوما تسبح فى غدير فأخذتها أبصار اثنين من أحبار اليهود ففتنهما جمالها عن دينهما وأخرجهما عن وقارهما فراوداها عن نفسها فأشاحت عنهما نافرة. وانقلب قلبا الحبرين على الفتاة العفة فتجنيا عليها ورمياها بالزنا إفكا وبهتانا ولفقا لها من الأدلة وألبا عليها من الشهود ما أيد التهمة فدانها قضاتها من الكهنة وأمروا بها أن تقتل رجما، فلما أنفذ فيها قضاؤهم سقط الحبران تحت أثقال تبكيت الضمير.

١ — الرغبة فى المضىّ مرحلة جديدة ، حينا بعد حين ، فى استئكال[1] الشعب . لقد أودعوا هذه الأسفارَ من الوصايا ما يكفل لهم موفور الرزق ومبسوط النفوذ . ثم فطنوا على الأيام إلى مطاليبَ جديدة كانت قد عزَبت عن أذهانهم فلم يتحرّجوا أن يضيفوا إلى المتن آيات فى هذا المعنى تُدِرّ المزيدَ من المال الصامت والناطق[2] يؤديه المُثرون والمعدِمون على سواء . وقد فعلوا ذلك كرّة بعد أخرى فكان نصيبُ تلك الأسفار من التحريف كبيرا كِبَرَ الغنائم التى يشرَهون إليها . ويقول الكهنة مؤكّدين إن الإله يهوه الذى اصطفاهم للكِهانة ووقف عليهم السِّدانة[3] هو الذى فرض لهم تلك الفرائضَ وسجّل ذلك فى توراة موسى لتكون هذه الأرزاقُ حقا ثابتا لهم وفرضا أبديّا على رعاياهم[4] .

---

(١) فلان يستأكل الضعفاء : يأخذ أموالهم .

(٢) الصامت من المال : الذهب والفضة . والمال الناطق : الحيوان .

(٣) سدن الرجل : خدم الكعبة أو بيت الصنم

ولم يكن يهوه فى أول الأمر غير قطع من الحجر فى صندوق ، وكانت مشاهدته حراما (تابو) على غير الكهنة .

(٤) فقد أقبل يهوه يستحث عابديه على أن يبادروا فيقدموا إليه نصيبا من خيرة محصولاتهم .

« لا تؤخر ملء بيدرك وقطار معصرتك . وأبكار بنيك تعطينى »

خروج ٢٢ : ٢٩

وهى ترجمة ركيكة نرى تصويبها فيما يلى :

لا تتوان فى تقديم باكورة ما يونع عندك من الثمار وسلالة ما تعصر من كرم ، وهب لى بكر أبنائك

على أن الصَّيدَ السمين الذى يُـكِظّون به بطونَهم والورِقَ[1] الثمين الذى يفعِمون به خزائنَهم ليس هو منتهى ما يطمحون إليه ، فإن المال متى توافر لامرىء شهقت إلى الجاه نفسُه . والـكهنةُ بحكم مهنتهم نزّاعون إلى أن يحوطوا أنفسهم بهالة من المهابة والقدسيّة ، ولقد تراهم يحظرون على غيرهم مزاولة شيء مما يصنعون كدُهن المَسحة والبَخور والعِطر .

= ثم مضى يتهدد للتخلفين عن توفية الإتاوة التى يفرض عليهم أداءها عند إجراء الإحصاء العام ، بأن يسلط عليهم الأوبئة والطواعين تتفشاهم وتستأصل شأفتهم وأصر على أن تـكون الحيوانات التى تقرب له مسلمة لا يعيبها شيء .

« لا تذبح للرب الهك ثورا أو شاة فيه عيب شيء ما رديء . لأن ذلك رجس لدى الرب الهك »

تثنية ١٧ : ١

بيد أن يهوه ، بعد أن تمت له مضاعفة مغانمه التى فرضها على شعبه المختار مالبث أن نزل عنها للأسرة الموسوية الـكريمة : للـكاهن هرون وبنيه وحفدته الـكهنة الذين اختصهم موسى — وحدهم — بالـكهانة إلى أبد الآبدين .

« وقال الرب لهرون . . . كل دسم الزيت وكل دسم المسطار والحنطة أبكارهن التى يعطونها إلارب لك أعطيتها . . . كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه . . . جميع رفائع الأقداس التى يرفعها بنو إسرائيل للرب أعطيتها لك ولبنيك وبناتك معك حقا دهريا » .

عدد ١٨ : ٨ — ٩

(١) الورق : الفضة ، مضروبة كانت أو غير مضروبة .

« والبخور الذى تصنعه على مقاديره . . . كل من صنع مثله ليشمه يقطع من شعبه » .

خروج ٣٠ : ٣٨

بل إنهم ليحظرون — حتى — الاقتراب منهم فى أثناء مزاولتهم أعمالهم وأهمها سِدانة « الرب » وهو صنم حجرى كانوا يحملونه معهم فى صُندوق مهيّأ له أينما ظعنوا فإذا ما حطّوا رحالَهم أَودعوا الصُندوقَ مسكنا متنقلا خاصّا به .

« فعند ارتحال المسكن ينزّله اللاويون وعند نزول المسكن يقيمه اللاويون والأجنبي الذى يقترب يقتل » .

عدد ١ : ٥١

« وكلم الربّ موسى قائلا . قدِّمْ سِبْطَ لاوى فأوقفْهم قدّام هرون الكاهن وليخدموه . . . وتُوَكِّلْ هرون وبنيه فيحرسون كهنوتهم والأجنبي الذى يقترب يقتل » .

عدد ٣ : ٥ — ١٠

« ولا يدخلوا ليرَوا القدس لحظة لئلا يموتوا » .

عدد ٤ : ٢٠

« كل من اقترب إلى مسكن الربّ يموت » .

عدد ١٧ : ٣

وغلا الكهنةُ أبناء لاوى فى بسط سلطانهم ورتّبوا لهم ولذراريّهم من بعدهم حقّ الاتصال بالملوك وتقديم المشورة لهم أبَدَ الآبدين .

« وعندما يجلس على كرسىّ مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته » .

تثنية ١٧ : ١٨ — ١٩

ولكن المال والجاه ، وإن كانا فى حقيقة أمرهما غرضا يُبتغَى لذاته ، هما كذلك وقبل ذلك وسيلةٌ لغرض لا تَكتمِل للتمة إلا به وهو قضاء الوطر[1] من الناحية الجنسية ، ومن ثم خوّلوا أنفسهم حقّ الاستماع إلى اعترافات النساء فيما يتّصل بأوثقِ عَلاقاتهن بالرجال . وقد اشترعوا لهذا الغرض ما يطلقون عليه « شريعة الغَيرة » ، فإذا استراب رجل بامرأته وهجَس[2] فى صدره أنها قد خانته مع رجل آخر :

---

(١) الوطر : الحاجة ، أو حاجة لك فيها هم وعناية ، قضى منه وطره: أى بلغه ونال بغيته وحاجته .

(٢) هجس الشىء فى صدره : خطر بباله ، أو هو أن يحدث نفسه فى صدره مثل الوسواس ، ومنه الحديث « وما يهجس فى الضمائر » أى يخطر بها ويدور فيها.

« يأتى الرجل بامرأته إلى الـكاهن ويأتى بقربانها معها... فيقدِّمها الـكاهن ويوقفها أمام الرب و يأخذ الـكاهن ماء مقدّسا فى إناء خزف ويأخذ الـكاهن من الغبار الذى فى أرض المسكن ويجعل فى الماء » .

عدد ٥ : ١٥ — ١٧

ويخلو الـكاهن بالمرأة الظنِينة[1] ويشرع فى تِلاوة بعض الألفاظ ويستحلف المرأة أن تُقرَّ بما كان منها ثم يجرّعها الماء المشوب بالغبار .

« ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجّست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة فيرِم بطنُها وتـسقط فخذها فتصير المرأة لعنة فى وسط شعبها . وإن لم تـكن المرأة قد تنجّست بل كانت طاهرة تتبرّأ وتحبل بزرع » .

عدد ٥ : ٢٧ — ٢٨

ومن المعلوم أن الماء لا يدخل المرارةَ وأن وظائف الأعضاء لا تمُتّ إلى المسلك الُخلقىّ بسبب وثيق ، ولـكنها إجراءات خادعة تُتَّخذ لتعزيز سلطان الـكاهن على المرأة ، فهو ينفرد بها فى خلوة ثم يخرج راضــيا

(١) الظنين : المتهم و — المادى اسوء ظنه وظن الناس به .

أو ساخطا وينطق بالقول الفصل حسبما يهوى فيَدينها[1] بالموت مجلّلة بالعار أو يدعُها تنعَمُ بالحياة مرفوعةَ الرأس ناصعة الجبين .

٢ — التجريس[2] بالأعداء القوميّين والحضّ على نَصْب الحروب لهم وغزوهم فى أعقار دورهم وإفناء أسْرِاهم والإجهاز على جرحاهم و « تحريمهم » — على حدّ اصطلاح التوراة — أى تقتيلهم وتحريق بيوتهم وتنفيق[3] حيواناتهم واجتثات نباتهم . وقد رأينا كيف استُخدمت هذه الدَّعاوةُ عاملا نفسيّا يهُيب بالإسرائيليّين أن يقاتلوا شعبَي مؤاب وبنى عمّون قتالا ضاريا لالينَ فيه ولا هَوادة . وإنها لوسيلة ذميمة إلى غاية لا تقلّ عنها مَذَمَّة .

٣ — إرضاء كبريائهم القوميّة وإشباع نزعتهم إلى المبالغة والتفنّج[4] .

(١) ومن ذلك ما زعموه من أن إسرائيل وعشيرته وفدوا على مصر بدعوة من يوسف وكانت عدّتهم ٧٠ شخصا فما انصرمت ٢١٥ عاما حتى كان عديدُهم قد ناهز ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ فلما نزحوا عن ديارنا كان بينهم « نحو ستمئة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد » .

خروج ١٢ : ٣٧

---

(١) دانه : جازاه .

(٢) جرس بالقوم . صوت بهم وسمع بهم وندد .

(٣) نفق الرجل والدابة : ماتا وخرجت روحهما .

(٤) تفنج الإنسان وتنفج : افتخر بأكثر مما عنده أو بما ليس عنده .

وقد أحصَوا أبكارهم .

« فـكان جميع الأبكار الذكور بعدد الأسماء من ابن شهر فصاعدا المعدودين منهم اثنين وعشرين ألفا ومئتين وثلاثة وسبعون » .

عدد ٣ : ٤٣

فإذا ضاعفنا هذا الرقم كان الأبكار من الجنسين نحو ٤٥٫٠٠٠ . وبقسمة عدد الجماعة على عدد الأبكار خلَصنا إلى أن المرأة الإسرائيلية كانت تلد زُهاء ٦٥ وليدا .

وهذه الملايين الثلاثة من اليهود الآبقين من مصر لو أنها سارت فى صفوف عَرْضيّة متراصّة يضُمّ كل منها ٢٠ يهوديا ويشغَل الصفّ بين سابقه ولاحِقه مترا واحدا لاستطال القِطار أى الصفّ الطولىّ (الطابور) ١٥٠ كيلو مترا ولتعذّر على قائدهم موسى أن يبْلغهم أوامره .

(ب) ومن مزاعمهم أنه كان فى بلاد الفرس وزير يُدعى هامان اشتهَر باضطهاده لليهود ، فأتمر اليهود بالوزير وأرسلوا إلى الملك غانيةً لعوبا من بناتهم اسمُها إستير سلبته لُبَّه فاستخذى لها وفتك بوزيره هامان ابتغاء مرضاتها[1] ، وخفّ اليهود إلى العمل .

(١) وقد كرر اليهود هذا الصنيع قبيل الحرب العالَمية الثانية ، إذ استطاعت مدام لوبسكو حظية كارول ملك رومانيا أن تجعله يتنكر للنازيين ويقلب لهم ظهر المجن ويفتك بطائفة منهم . وقد أضاع ذلك عليه عرشه .

« وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفا » .

إستير ٩ : ١٦

(جـ) وجمح بهم الخيال فيما يتّصل بطوفان نوح فلم يُثلج صدورَهم أن يكون ذلك الطوفان فيضانا نهريا جائحا أو هجمة بحْرية جارفة وأصرّوا على أن يدَّعوا الماء يغمرُ هذا الكوكب كلَّه فى سنة ٢٣٤٨ ق.م فيُحيلُ الكرة الأرضيّة كرةً مائية .

« وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء . خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه . فتغطت الجبال » .

تكوين ٧ : ١٩ — ٢٠

إن قُنَّةَ إفِرِسْت بجبال هيمالايا تعلو سطح البحر بـ ٩ كيلومترات فإذا طمّت[1] المياه أرجاء الأرض إلى هذا المستوى وجب أن تتضاعف مياهُ البحر عشرةَ أضعاف حجمها المعهود ، فمن أين يأتى هذا القدر من الماء وإلى أين يذهب بعد الجَزْر ؟ .

٤ — تمحُّل تفسير أخلاقىّ للغوائل التى مُنِىَ بها بنو إسرائيلَ

(١) طم الشىء كثر حتى علا وغلب و — الماء : غمر .

وللمِحَن التى حلّت ببعض ذوى الشأن منهم ، ذلك أن الدين اليهودىّ كان — كما قلنا آنفا — خِلْوا من عقيدة البعث ويوم النشور ، وكان يقوم مقامَه الاعتقادُ أن الناس يجازَون على ما يكسِبون بالعقوبة والمثوبة فى هذه الحياة . ومن مقتضيات ذلك عند المناطقة أنّ كل كارثة تحيق بإنسان إنما تقع لإثم جسيم أسلفه .

(١) وقد اغتبط الموت « عيرا » الابنَ البكر ليهوذا بن يعقوب فكان موته فى شبيبته سببا كافيا فى نظر مشوّهى التوراة لاتّصافه بالشرّ ومسوِّغا وجيها لرميه بأنه أغضب الربّ فقصف الرب عمره .

« وأخذ يهوذا زوجة لعير بكرِه اسمها ثامار . وكان عير بكر يهوذا شرّيراً فى عينى الربّ . فأماته الرب » .

تكوين ٣٨ : ٦ — ٧

ولم يُبيِّن لنا صاحبُ هذا السفر لمَ كان عير شرّيرا فى عينَى الربّ ؟ .

لا علمينا .

وأُرغم أخوه التالى له « أونان » على أن يبنىَ بأرملة أخيه ليُنجبَ منها ، وتقضى شريعةُ اليهود بأن يُنسبَ سليلُهما المرتقب إلى الأخ

الذى قَضَى[١] ، بَيْدَ أن أونان لم يكن فى عمره متَّسَع للإنسال فقد عاجلَتْه المنيّة فلحق بأخيه ، وكان ذلك تُكَأَةً لنطفه بتُهَمَة فريدة فى نوعها[٢] .

« فعلم أونان أن النسل لا يكون له فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطى نسلا لأخيه » .

تكوين ٣٨ : ٩

---

(١) « إذا سكن إخوة معاومات واحد منهم وليس له ابن فلاتصيرامرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي . أخو زوجهايدخل عليها ويتخذهالنفسهزوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج . و البكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من إسرائيل . وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه ... تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق فى وجهه ... فيدعى اسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل »

تثنية ٢٥ : ٥ — ١٠

ولم تكن هذه التقاليد غريبة كل الغرابة عن عرب الجاهلية ، فقد كان الشاب منهم يرث زوجة أخيه بين ما يرث من تركته ، بل لقد كان يرث زوجة أبيه وسراريه وينكحهن إذا بداله ، فلما كان الإسلام أبدى الله مقته لهذا اللون من النكاح فأطلق عليه اسم « نكاح المقت » .

« ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا »

النساء ٢٢

(٢) نطف فلانا : قذفه بفجور أو لطخه بعيب .

وعاقبه الرب على هذا الشُّحّ العجيب بقبض رُوحه فتشاءم الأب بأرملة ابنَيه وتثاقل فى زفّها إلى ابنه الثالث .

وقد أخفق واضعو القصّة حتى الآنَ فى تحقيق الغرض منها وهو توليد طفل من صُلب أبٍ مستعمار ، فلم يجدوا مناصا من إنهائها بختام يتّسم بالشذوذ الخُلقىّ .

« فخلعت عنها ثياب ترمّلها وتغطّت ببرقع وتلففّت وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تمنة . . . فنظرها يهوذا وحسبها زانية . لأنها كانت قد غطّت وجهها . فمال إليها على الطريق وقال هاتى أدخل عليك . . . ودخل عليها فحبلت منه » .

تكوين ٣٨ : ١٤ — ١٨

(ب) وانقسمت مملكة اليهود عقِبَ موت الملك سليمانَ بن داود ، فوجب عند مشوِّهى التوراة أن يكون سليمان قد اقترف فى أُخْرَيات أيامه إحدى الكبائر ، وبما أن الرخاء كان سابغا فى عهده فقد اختاروا أن يتّهموه بأنه اتّخذ لنفسه نساء وسرارىَّ من الأمم المصاقبة[1] ذاتِ الآلهة القوميّين المعادين لإلههم يهوه ، وزعموا أنه طاوع نساءه على عبادة تلك الأصنام وأقام لها فى بلاده معابدَ شتّى .

---

(١) صاقبه : قاربه ومنه « الجار أحق بصقبه » أى بما يليه ويقرب منه .

« وأحبّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمّونيات وأدوميّات وصيدونيّات وحثيات . . . وكانت له سبع مئة من النساء السيّدات وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيّين وملكوم رجس العمّونيّين . وعمل سليمان الشرّ فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن » .

١ ملوك ١١ : ١ — ٨

ولكن انقسام مملكة سليمان لم يحدث فى حياته بل كان عقب وفاته ، فهل لذلك من تعليل ؟

دونك الجواب :

« فقال الربّ لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتُك بها فإنى أمزّق المملكة عنك

تمزيقا وأعطيها لعبدك[1] . إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزّقها » .

١ ملوك ١١ : ١١ — ١٢

٥ — تفسير أشياء أشكلت على الناس وحارت فيها عقولهم .

(١) فتفسير قوسِ قُزَحَ[2] التى تظهر فى الأُفُق غِبَّ المطر هو أن الله أنشأها لتكونَ تذكِرة له بألا يعودَ إلى إغراق الأرض .

« وضعتُ قوسى فى السحاب فتكون علامةَ ميثاق بينى وبين الأرض . فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس فى السحاب أنى أذكر ميثاق الذى بينى وبينكم

---

(١) يقصد به يربعام بن نباط وهو رجل شديد البأس اصطفاه أخيا الشيلونى ، أحد الأنبياء ، ليبدى التمرد على سليمان ولما طلب دمه هرب إلى مصر محتميا بملكها شيشق فلما مات سليمان رجع يربعام أدراجه .

وكان رحبعام بن سليمان (وأمه عمونية تدعى نعمة) قد أثار حنق الشعب الإسرائيلى بما جبهه به من صلف وجبروت ، فالتف الشعب والكهنة حول يربعام وملكوه عليهم . ولم يبق مع رحبعام غير يهوذا ، فنشبت الحرب بين الفريقين وكانت سجالا .

(٢) تنشأ قوس قزح فى السماء أو على مقربة من مسقط الماء من الشلال ونحوه وتكون فى ناحية الأفق المقابلة للشمس ، وترى فيه ألوان الطيف متتابعة وسببها انعكاس أشعة الشمس من رذاذ الماء .

و « قزح » من أسماء الشيطان ، ولهذا نهى رسول الله عن هذه التسمية مؤثرا تسميتها بقوس الله .

وبين كل نفس حيّة فى كل جسد . فلا تـكون أيضا المياه طوفانا
لتهلك كل ذى جسد » .

تـكوين ٩ : ١٣ ـــ ١٥

(ب) والتعليل عندهم لتعدّد لغات البشر هو أن الله رأى سلالةَ الناجين من الطُوفان يبنون برجا بُغيةَ الصعود إليه فى علياء سمائه ، وكانوا يحسَبون السماء أشبهَ شىء بلوح من زجاج يعلو على الأرض بضعَ مئات من الأمتار ، نخشِيَ شرَّهم واحتاط لنفسه فهبَط الأرضَ وبلبل ألسنتهم فتفرّقوا شَذَرَ مذَر .

« فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذَين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلمّ نتزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمعَ بعضُهم لسان بعض . فبدّدهم الرب من هناك على وجه كل الأرض . فـكفّوا عن بنيان المدينة » .

تـكوين ١١ : ٦ ـــ ٨

(ج) وصادف بعضُ الناس صخورا نحتَتْها عوامل التعرية فى الطبيعة فجاءت على هيئة الإنسان ، فعلّل الـكهنة ذلك التشابه غير المألوف

بأن ثمة أناسا عصَوُا الله فسخِطهم[1] ونقلهم من الصورة الكريمة التى ركّبهم فيها إلى صورة زَرِيّة مقبوحة ، وضربوا لذلك مثلا امرأةَ لوطٍ فقد خالفت عن أمر المَلَاك المرسَل ورمت بنظرة إلى وراء مشدوهةً لمرأى القرية وقد أمطرتها السماء نارا وكِبريتا ، فمسخها الله كتلة من كلوريد الصوديوم .

« ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » .

تكوين ١٩ : ٢٦

٦ — اقتباس ما يروقهم من الأديان الأخرى بعد اتّصالهم بشعوب لم يكونوا يتّصلون بها واختلاطهم بها فى السِّلم والحرب .

٧ — جعل متون الأسفار المقدّسة تلائم حياة الإسرائيليين الجديدة بعد انصرافهم عن البداوة إلى الزراعة ، فكلما حلا لهم أن يَسُنُّوا سنّة جديدة زعموا أنهم وقعوا على كلام فى هذا المعنى شافه الله به كليمه موسى فى سيناء أو أوحَى به فى رؤيا إلى هذا النبىّ أو ذاك .

٨ — تصويب أغلاطٍ فاضحة فى أسفار سابقة ، ومن ذلك ما سرده سفر الملوك من تفصيل المكيدة التى دبّرها الكاهن يهوياداع حتى يتربّعَ

---

(١) سخطه وسخط عليه : غضب ولم يرض . والعامة فى مصر يتحدثون عن « المسخوطين » يعنون بهم أولئك الذين نكر الله صورهم .

يوآش بن أخزيا على كرسىّ المُلك الذى كان يتبوّؤه أبوه . وقد كان صاحبُ هذا السفر لا يعرف من التوراة الحالية إلا جانبا إذ أنها لم تكن قد اكتَملت فى أيامه بل بعد ذلك بأكثرَ من قرن ، وكان من ثم على غير علم وثيق بلوائح الكهنة ، ولم يكن يبالى الأمانةَ التاريخيّة حين كان الأمر يتعلّق بتمجيد الرب إلهه ، ولعلّه قد أقنع نفسه بأن ما كان واجبا أن يكون لابدّ أنه كان ، ولهذا كتب يقول :

« أرسل يهوياداع فأخذ رؤساء مئات الجلاّدين والسعاة وأدخلهم إليه إلى بيت الرب وقطع معهم عهدا واستحلفهم فى بيت الرب وأراهم ابن الملك » .

٢ ملوك ١١ : ٤

وجاء بعد ذلك صاحب أخبار الأيام — وكان على معرفة بسِفر الملوك حتى لقد كان أحيانا ينقُل منه نُتَفاً بحروفها — ورأى أن فى بيان مؤامرة التتويج خطأً لا يُغتفَر ، ذلك أن دخول هؤلاء الأنجاس مَن الجلاّدين (وهم أجانب) والسعاةِ إلى الهيكل يُعَدّ تدنيسا شنيعا له .

لهذا أعاد صاحبُ أخبار الأيام سَرْدَ تلك القصّة وقد حذف منها أن الكاهن أدخلهم إليه فى بيت الرب ، وأحلّ محلّهم الكهنةَ اللاويين فالناموس الموسوىّ يخوّلهم دخول هذا البيت .

٩ — وقد أحدثت الكنيسة المسيحية بعضَ التغيير والتبديل فيما أخرجَتْه من متون التوراة .

فالمطبوعة اليهودية من العهد القديم تطالعنا بالوصيّة الأولى من الوصايا الموسويّة العشر على النحو الآتى :

« أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » .

خروج ٢٠ : ٢

تليها الوصيّة الثانية وهى :

« لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » .

خروج ٢٠ : ٣

وقد وجد المسيحيّون أن ذكر خروج اليهود من مقرّ عبوديّتهم فى مصر يجعل هذه الوصايا لليهود خاصّةً دون أهل المسيحيّة .

لهذا فقد طلس[1] الكاثوليك هذه الجملة وجعلوا نَصَّ الوصيّة الأولى .

أنا الرب إلهك . لا تكن لك آلهة أجنبية أمامى .

---

(١) طلس الكتاب ونحوه ، وطلسه : شوه خطه أو أفسده .

وضرب البروتستنت صفحا عن الجملة الأولى بحذافيرها فأصبح نصُّ الوصيّة الأولى عندهم :

لا تـكن لك آلهة أخرى أمامى .

وقد نجم عن ذلك وما إليه :

(ا) الاختلاف بين اليهود والنصارى فى قدسيّة بعض أسفار العهد القديم ، والخلاصة فى هذا أن اليهود لا يعترفون إلا بالأسفار التى كانوا يحتفظون بمخطوطاتها العبريّة فى معبدهم (السيناجوج) قبل ميلاد المسيح بنحو قرن من الزمان ، أما المسيحيون فهم على الجملة أكثر تساهلا .

(ب) وتختلف الفرق المسيحية أيضا فيما بينها حول نظرتها إلى تلك الأسفار فالبروتستنت يُنكرون أسفار المكابيين وطوبيث وإسدراس على حين يعترف بها الكاثوليك[1] .

(ج) وليس الخلاف بين هؤلاء جميعا محصورا فى الأسفار الكاملة وحدَها بل هو يتّصل كذلك ببعض أجزاء من متون الأسفار كتلك التى حُشِيَ بها سفر أيوب .

(د) وهنالك أسفار لا يحتويها العهد القديم فى ثوبه الراهن غير أنها مذكورة فى تضاعيفه مثل سِفر ياشر وناثان وأهيه وإدو وهو وأقوال الرائين وأمور سليمان .

(١) وهناك من يقفون موقف الشك من سفرى إستير ونشيد الإنشاد . وقد لاحظوا أنهما خاليان من ذكر اسم الله ولم ترد فى أيهما إشارة إلى كائن علوى .

ومن ذلك ما ورد فى ذكر معجزة يشوع بن نون حين أمر الشمس فأرجأت غروبها حتى يتمّ له النصر على إحدى القبائل الفلسطينية .

« فدامت الشمس ووقف القمر حتّى انتقم الشعب من أعدائه . أليس هذا مكتوبا فى سفر ياشر ... » .

يسوع ١٠ : ١٣

وقد أفاض سفر أخبار الأيام فى الحديث فيما أتى داود من جلائل الأعمال ، ثم قال :

« وأمور الملك داود الأولى والأخيرة هى مكتوبة فى أخبار صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبيّ وأخبار جاد الرائى » .

١ أخبار ٢٩ : ٢٩

« ورثا داود بهذه المرثاة شاول ويوناثان ابنه . وقال أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس . هوذا ذلك مكتوب فى سفر ياشر » .

٢ صموئيل ١ : ١٧

وأسخط سليمان عليه النبيّ أخيّا الشيلونى فتآمر به هو والقائد يربعام .

« وبقيّة أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته أما هى مكتوبة فى سفر أمور سليمان » .

١ ملوك ١١ : ٤١

نماذج من الخلط والفوضى

أعمل الـكهنة فى المتون المقدّسة يد العبث وأكثروا فيها التهويش والتشويش . ومما سنّى لهم ذلك أن تلك المتونَ كانت مدوَّنة بلغات قديمة غير دارجة فى نسخ قليلة لا يباح لأحد من الشعب اقتناؤها ولا يتاح له قراءتها ، وأن جمهرة الناس كانوا أميين ذوى حَمِيّة دينيّة، ولطالما طغت الحماسة الدينيّة على الناس فطمست على عقولهم وغمرت أحاسيسهم وأوقعتهم فى غيبوبة ذهنيّة فإذا هم ينشِجون أو يُعولون حيث كان ينبغى لهم القهقهةُ والإغراب[1] فى الضحك ، وإذا هم يستخفّهم الطرب وتتطلّق وجوهُهم بِشْرا لأبشع الفظائع وأقسى المذابح .

كان أولئك الـكهنة يدُسّون الآيات التى يبتدعونها إلى المتن الأصلىّ فى غير ملاحمة فإذا الجُمَل يَعيبها التفككُ والتخلخل كما فى الآيات الآتية :

« ١٢ ــ فتكلم موسى أمام الرب قائلا هوذا بنو إسرائيل لم يسمعوا لى . فكيف يسمعنى فرعون وأنا أغلف الشفتين .

---

(١) أغرب فلان : بالغ فى الضحك .

١٣ — فكلم الربّ موسى وهرون وأوصى معهما إلى بنى إسرائيل وإلى فرعون ملك مصر فى إخراج بنى إسرائيل من مصر .

١٤ إلى ٢٧ — هؤلاء رؤساء بيوت آبائهم . بنو رأوبين بِكر إسرائيل حنوك وفَلّو وحصرون وكَرمى . هذه عشائر رأوبين . وبنو شمعون يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشأول ابن الكنعانية . هذه عشائر شمعون . وهذه أسماء بنى لاوى بحسب مواليدهم . . .

وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له . فولدت له هرون وموسى . . .

وأخذ هرون . . . زوجة له . فولدت ناداب وأبيهو والعازار وإيثامار . . .

٢٨ — وكان يومَ كلّم الرب موسى فى أرض مصر .

٢٩ — أن الرب كلّمه قائلا أنا الرب . كلِّمْ فرعون ملك مصر بكل ما أنا أكلمك به .

٣٠ — فقال موسى أمام الرب ها أنا أغلف الشفتين فكيف يسمع لى فرعون .

خروج ٦ : ١٢ — ٣٠

١ — فقال الرب لموسى انظر . أنا جعلتك إلها لفرعون . وهرون أخوك يكون نبيّك .

٢ — أنت تتكلم بكل ما آمرك . وهرون أخوك يكلّم فرعون ليطلق بنى إسرائيل من أرضه .

٣ — ولكنى أقسّى قلب فرعون وأكثّر آياتى وعجائبى فى أرض مصر » .

خروج ٧ : ١ — ٣

وهكذا ، بينا يتحدّث القاصُّ حديث موسى وفرعون إذا هو يقتضب[1] الحديث بغتةً ليدلىَ إلينا فى غير مناسبة بأنساب بنى إسرائيل ثم يعود بعد لأىٍ[2] فيصِل من الحديث ما انقطع .

وقد اختبر العلماء المحدَثون أسفارَ العهد القديم فلاحظوا فيها ازدواجا فى سرد القِصص وفى الإدلاء بالأحكام التشريعية ، فإن الكثير من محتوياتها قد سيق مرّتين متجاورتين مما ينُمّ على سَرَف فى استخدام الوحى لتبليغ الرسائل اللدُنيَّة ، ولاحظوا كذلك أن المتن العبرى يطلق على الله حينا لفظ « إلوهيم » أى الآلهة بصيغة الجمع وحينا لفظ

---

(١) اقتضب الشىء : قطعه . ويقال : كان يحدثنا فلان فاقتضب حديثه .

(٢) لأى الرجل : أبطأ واحتبس .

« يهوه » ، وتبيّنوا أنهم لو ضمّوا الفقَرات التى تَستعمل أحد هذين اللفظين بعضَها إلى بعض لاستوت منها قصّة كاملة ، فاستنبطوا من ذلك أنه كانت هناك صورتان متباينتان لأسفار العهد القديم تمتاز كل منهما بمميّزات خاصّة فى اللغة والأسلوب ، ورجّحوا أن الصورة اليَهَوِيّة كُتبت بادىء بَدء فى يهوذا فى القرن التاسع ق . م وأن الصورة الأخرى كتبت بعد ذلك بقرن فى إفرايم ، ثم مُزجت الصورتان إحداهما بالأخرى بعد سقوط السامرة[1] . ويبدو أن هذا التلفيق تمّ فى غير حذق ، ولهذا فإنا كثيرا ما نعثر على جملةٍ متبوعة بأخرى تناقضها فى غير ذكاء أو تكرّرها فى غير عناء .

(ا) فمن ذلك أنا نجد فى قصّة الخلْق أن الله برأ آدم وحوّاء معا فى اليوم السادس بعدما برأ سائر ضروب الحيوان .

« ٢٥ — فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها . ورأى الله ذلك أنه حسن .

٢٦ — وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ..

٣١ — وكان مساء وكان صباح يوما سادسا » .

تكوين ١ : ٢٥ — ٣١

---

(١) سقطت السامرة حاضرة مملكة إسرائيل فى سنة ٧٢٢ ق . م بيد سرجون الثانى ملك أشور .

ثم لا نلبث أن نجدَ رواية ثانية تقول إن الله بدأ بخلق آدم وحدَه في مكان ما من الأرض ثم نقله الى جنّات عدن تجرى من تحتها الأنهار[1]

---

(١) وهى عند اليهود فى الأرض لا فى السماء ، وقد حددت التوراة مكانها جغرافيا ، فقالت .

« وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة . ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس . اسم الواحد فيشون . وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب . وذهب تلك الأرض جيد . هناك المقل وحجر الجزع . واسم النهر الثانى جيحون . هو المحيط بجميع أرض كوش . واسم النهر الثالث حداقل . وهو الجارى شرق أشور . والنهر الرابع الفرات » .

تكوين ٢ : ١٠ — ١٤

والمقصود بنهر حداقل نهر دجلة .

لقد كان اليهود على غير بصر بأن الناس يبعثون بعد الموت ، وكانوا يعتقدون أن الناس يعاقبون على ما يجترحون من السيئات فى الوادى الذى اعتادوا أن يحرقوا فيه أضحياتهم من البشر وهو يقع إلى الغرب من أورشليم ، وكان معروفا باسم مالك ابن هنوم (وهو فى لغتهم « جى هنم ») . وقد ورد ذكره فى العهد القديم .

« وبنوا مرتفعات توفه التى فى وادى ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار الذى لم آمر به ولا صعد على قلبى » .

إرميا ٧ : ٣١

مستخلص من كتاب « نحو آفاق أوسع . العقل الإنسانى فى مراحله التطورية » بقلم الباحثة أبكار السقاف .

ويقول الأستاذ فلهلم رودلف استاذ اللاهوت بجامعة تيبنجن بجنوب ألمانيا فى كتابه عن صلة القرآن باليهودية والمسيحية .

Die Abhängigkeit des Qorans von Judentum und Christentum.

وانصرف عنه بعض الوقت ، حتى إذا ما أتمّ خلق مختلِف الحيوان اقتضت مشيئته أن يخلُقَ حوّاء .

« ٧ — وجبل الرب الإلهُ آدمَ ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حيوة . فصار آدم نفسا حيّة . . .

١٥ — وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنّة عدن ليعملها ويحفظها .

١٩ — وجبل الربّ الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء . فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها .

= إن لفظ جهنم العربى مأخوذ من اللفظ العبرى ge—hinnom بيد أنه ليس معربا عنه مباشرة وإنما عن اللفظ الحبشى gahannam (بالجيم المصرية) الذى يرجع بداهة إلى الأصل العبرى . وقد كانت كلمة جهنم معروفة للعرب قبل محمد .

وقال الدكتور جواد على فى الجزء السادس من كتابه « تاريخ العرب قبل الإسلام » المطبوع بمطبعة المجمع العلمى العراقى :

جهنم من المصطلحات المعروفة عند اليهود والنصارى الجاهليين من أصل وادى جهينوم وهو واد يدور حول القدس نحو أربعة كيلومترات ، ويعرف اليوم باسم « وادى الربابى » وقد كان الوثنيون يقربون الصبيان فى موضع منه يسمى « توفيت » .

وقد وردت لفظة جهنم فى بيت من الشعر ينسب إلى أمية بن أبى الصلت هو :

فلا تدنو جهنم من برىء ولا عـــدن يطالعها أثيم

٢٢ — وبنى الربّ الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم » .

تـكوين ٢ : ٧ — ٢٢

(ب) ونجد فى قصة الطوفان أن الله أمر نوحا أن يَسلُكَ فى الفُلْك زَوجين[1] من كل نوع من أنواع الحيوان .

« من كلْ ذى جسد اثنين . من كلٍّ تُدخل إلى الفلك لاستبقائها ذكرا وأنثى » .

تـكوين ٦ : ١٩

ثم لا نلبث أن نعثُرَ على أمر آخرَ بأن يودع السفينةَ ٧ (أو لعلها ١٤!) من كل نوع .

« من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى » .

تـكوين ٧ : ٢

(١) الزوج : كل واحد معه آخر من جنسه ، والعامة تخطىء فتظن أن الزوج اثنان وليس ذلك من مذهب العرب إذ كانوا لا يتـكلمون بالزوج موحدا فى مثل قولهم زوج حمام وإنما يقولون زوجان من حمام وزوجان من خفاف ولا يقولون للواحد من الطير زوج بل للذكر فرد وللانثى فردة تقول اشتريت زوجى حمام وأنت تعنى ذكرا وأنثى وعندى زوجا نعل أى نعلان ومنه فى سورة هود فى قراءة حفص .
« وقلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ... »

(ج) وبينما نجد فى أول قصة يوسُفَ أن الذين باعوه لرئيس شرطة فرعون هم قوم من أهل مدين .

« وأما المديانيّون فباعوه فى مصر لفوطيفار خصىّ فرعون رئيس الشرط » .

تـكوين ٣٧ : ٣٦

إذا نحن نجدهم فى آخر القصّة من الإسماعيليين .

« وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصىّ فرعون رئيس الشرط رجل مصرىّ من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه هناك » .

تـكوين ٣٩ : ١

(د) ومما يسترعى الأنظار كذلك أن المزمور ٥٣ هو بعينه المزمور ١٤ نُقل بحروفه .

توثيق وتحقيق

أما فيما يتصل بتوثيق أسفار التوراة وتحقيق سندها :

١ ــ فالمسلّم به بوجه عامّ أنه ليس بين أسفار العهد القديم ما يرجع إلى أبعدَ من القرن التاسع ق . م

٢ ــ وأن هذه الأسفار جُمعت فى القرن الخامس ق . م ، ويقال إن نحميا هو الذى جمع أصول أسفار الملوك والأنبياء ، ثم جُمعت أسفار أيوب والمزامير والأمثال والرحمة والحكمة وغيرها بعد ذلك بزمن طويل ، وضُمّت إليها ، بأخَرَةٍ ، الأسفار التى كتبت فى زمن متأخر كسفر دانيال .

٣ ــ بيد أن المخطوطات العبريّة لتلك الأسفار لم تلبث أن دَرَسَت ولعبت بها يدُ البِلَى . وأقدمُ ما عُثر عليه منها باق إلى الآنَ فى لنينجراد وهو أجزاء يرجع تاريخ تدوينها إلى سنة ٩١٦م .

٤ ــ وقد تُرجمت أسفار العهد القديم إلى اليونانيّة قبل الميلاد بقرن ونصف قرن ليقرأها يهودُ مصر ومن إليهم ، وتُعرف هذه الترجمة السكندريّة بالترجمة السبعينيّة نسبة إلى عدد الذين شاركوا فيها . وهى مترجمة عن أصل عبرىّ يختلف كثيرا عن المتن المتداول الآن ،

وتُسفر المقابلة بين الترجمة اليونانية لسِفْر أيّوب ومَتْنه الذى بين أيدينا عن أنها تنقص عنه نحو الخمس أو الربع .

٥ — وقد نقل القديس جيروم هذه الأسفار فى القرن الرابع الميلادىّ من العبريّة إلى اللاتينيّة ، ونرى عند مراجعة هذه الترجمة أنها منقولةٌ عن أصل مباين لما فى النسخ الشائعة بيننا ومباين فى الوقت نفسه للترجمة اليونانيّة .

٦ — وهناك إلى جانب هذه الترجمات تراجمُ مصريّة وحبشيّة وأرمينيّة وغير ذلك ، وكل منها يخالف ما سواه .

* * *

هذا ولقد تحقّق العلماء أن بعضَ الأسفار كالمزامير[1] والأمثال وأشعيا ليست من وضع أولئك الذين تحمل أسماءهم .

وقد محّصوا أهمّ التعديلات التى اعتورت أسفار العهد القديم واستطاعوا أن يحدِّدوا — على وجه التحقيق طورا وفيما يقرب من اليقين تارة — أين حدث كل من هذه التعديلات ومتى ولمَ ؟ وأن يعرفوا المصادر التى نقلت عنها بعض أجزاء من العهد القديم ، ومنها قانون حمورابى المحفوظ الآن فى مُتْحَف اللوفر بباريس وترانيم التوبة البابليّة وقصيدة أخناتون فى الشمس .

(١) تعرف المزامير عند العرب باسم الزبور أى الكتاب ، يقال زبر الكتاب أى كتبه . وقد غلب اسم الزبور على صحف داود .

عرض تفصيلي لسفر دانيال

وليس يتّسع المجال لِتبيان أسباب التغييرات التي ابتُلِيَ بها كلٌّ من الأسفار المقدّسة ، وتوضيح الملابسات التي تمّ فيها ذلك وإحصاء الأدلّة على ما شاع في مَتنه من عبث ، ولإظهار التناقض بين المعلومات التي يُدلى بها وتلك المتعالَمَة بين الناس ، ولهذا نكتفي بتفصيل هذه الأمور فيما يتّصل بسِفر واحد هو سفر دانيال ، وسنرى من ذلك أن العلماء لا يتعسّفون حين يبهرجون[1] هذه الأسفار ويَعُدّونها زيوفا .

كُتب هذا السفر في القرن الثاني ، وكان اليهود لهذا العهد يَرزَحون[2] تحت نِير الحكم اليوناني ، وكان يملك عليهم رجل مضعوفٌ[3] فائلُ[4] الرأي يُدعى أنطيوخس الرابع[5] . وأجّج الكاهن متاثياس وبنوه الخمسة ثورةً عارمة[6] كانت قد بدأت باشتجار النزاع بين اليهود بعضِهم

---

(١) البهرج : الدرهم المضروب في غير دار الأمير .

(٢) رزحت الناقة : ألقت نفسها إعياء أو هزالا .

(٣) رجل مضعوف : ضعيف الرأي .

(٤) فال رأيه . أخطأ وضعف . رجل فائل الرأي : ضعيفه .

(٥) وكان لقبه إبفانس أي اللامع ولكنهم كانوا ينبزونه إبمانس أي المخبول. ولي الملك سنة ١٧٦ ق . م ، وثار القوم به غير مرة . ولا يعزب عنا هنا التنبيه إلى أن بومبي أخضع مملكة يهوذا سنة ٦٣ ق . م فأصبح اليهود أتباعا للرومان .

(٦) عرم الرجل : اشتد وفارق القصد وخرج عن الحد . رجل عارم : شرس مؤذ .

مع بعض ثم نزعت إلى التمرّد على أنطيوخس هذا إذ كان قد بنى لإله اليونانيين محرابا فى ضريح يهوه بأورشليم مما يُعَدّ تدنيسا لأعظم مقدّسات اليهود .

وقد كُتب هذا السِّفرُ تأييدا لتلك الثورة ، كتبه رجل فاقدُ الاتّزانِ استطاع بمعونة الكهنة أن يخدع القوم عن أنفسهم ويَحملَهم على الاعتقاد أن هذا السفر قد دبَّجَتْه فى أثناء السبي البابلىّ يراعةُ النبىّ دانيال وأنه يتنبّأ فيه بمقدَم المِسِّيا(١) المنتظر فلبِثوا دهرا ينتظرون على غير طائل قدوم ذلك الحاكم الذى ينتشلهم مما يكتنفهم من المصاعب وما يلاحقهم من التنكيل والازدراء .

وثمة أمور كثيرة تشهد بأن هذا السِّفْرَ لا يمكن أن يكون قد كُتب فى ذلك الزمن البعيد عندما سقطت بابل فى يد الملك الفارسىّ قورش سنة ٥٣٨ ق . م بل بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة .

١ — فهو يتضمّن كلماتٍ مقدونيةً على حين أن اليهود فى زمن السبْى البابلىّ لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعدُ ولا صَكّت أسماعَهم اللغةُ اليونانيّة .

---

(١) للسيا هو اللفظ العبرى لكلمة المسيح ، وهو الملك الممسوح بالدهن المقدس، وكان الإسرائيليون ينتظرون أن يسارع إليهم ملك يمسحه الكهنة أو الأنبياء بالدهن المقدس فيدحر أعداءهم ويمحو عنهم عار الذل ومهانة العجز والفشل .

٢ — وفيه وصف للكلدانيين لا يتسنّى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الأسكندر (وقد قضى الأسكندر على الدولة الفارسيّة فى موقعة إرْبِلا سنة ٣٣١ ق . م ثم وافته منيته سنة ٣٢٣ ق . م)

٣ — وقد اقتبس طرَفا من أقوال إرميا وحزقيال وزكريّا :

« أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت كلمة الرب إلى إرميا النبيّ لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم » .

دانيال ٩ : ٢

وذلك على حين أن أولئك الأنبياء لم يكونوا قد وُجدوا بعدُ فى ذلك العهد الذى يزعمون أن السفر كُتِب فيه .

٤ — وقد ورد فى السفر اسما الملَكين جبرائيل وميكائيل .

« وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى إذا بشبه إنسان واقف قبالتى . وسمعت صوت إنسان بين أولادى فنادى وقال يا جبرائيل فهِّمْ هذا الرجل الرؤيا » .

دانيال ٨ : ١٥ — ١٦

على حين أن اليهود فى ذلك الوقت لم يكونوا قد اصطنعوا فكرةً ما عن الحياة الأخرى ولا عرَفوا جبرائيل وميكائيل ومن إليهما ، ولكنهم

اقتبسوا من الفُرس الذين لابسوهم[1] فى بابل ، فى زمن متأخِّر ، بعضَ المعلومات عن ملَكوت الله وانتهاء العالَمَ ولم يعرِفوا شيئا من أمر الملائكة المجنّحين إلا بعد أن شاهدوا صورَها فى آثار البابليين ، فهم مَدِينون بشريعتهم وبقِصصهم الدينيّة للخمسين سنةً التى أقاموها مَسبيّين فى بابل .

والسبْيُ البابليُّ هو الخطّ الفَيْصَل فى ديانة اليهود ، إذ كان اليهود قبله على غير بصر بفكرة النعيم والجحيم ، فإذا ما أَثِم امرؤ منهم لَقِيَ جزاءه وشيكا فى هذه الحياة[2] .

ونرى أوّلَ إشارة فى العهد القديم ، إلى يوم كيوم البعث ، فى الإصحاح ٢٤ من سفر أشعيا ، وإن كانت هذه الإشارة يشوبها الغموض .

---

(١) لا بسه : خالطه و — عرف باطنه وهو من لازم المخالطة .

(٢) زعم الأنبياء فى القرن الثامن ق . م أن يهوه عادل لا يحرم المحسن حظه من الثواب ولا يخلى المسيء مما يستحق من العقاب ، بيد أن الأحداث زيفت مزاعمهم وبينت أن للؤمن مصاب وأن الفاسق الشرير كثيرا ما يسعد بمقبى غيه وضلاله ، فبدأ القوم يكدون أذهانهم ويسائلون أنفسهم .

« عيناك أطهر من أن تنظر الشر ولا تستطيع النظر الى الجور فلم تنظر إلى الناهبين وتصمت حين يبلع الشرير من هو أبر منه » .

حبقوق ١ : ١٣

وقد فحص عن هذا الموضوع على نحو ما فى سفر أيوب وانتهى الأمر بالمتأخرين قليلا الى أن ينشدوا حلا لهذه المعضلة فى الحياة الأخرى بعد الموت .

مستخلص من كتاب « تاريخ العالم » لناشره جون ا . هامرتن .

٥ — ويحتوى السِّفْرُ على نبوءة بمصرع أنطيوخس (١) تقول :

« وينصب فسطاط بين البحور وجبل بهاء القدس ويبلغ نهايته ولا معين » .

دانيال ١١ : ٤٥

هذا ، وقد طمس كاتب هذا السفر غيرَ مرّة على معالم التاريخ .

(١) فهو يذكر أن نبوخذنصّر فتح أورشليم فى السنة الثالثة من حكم الملك يهوياقيم .

« فى السنة الثالثة من مُلْك يهوياقيم مَلِك يهوذا ذهب نبوخذناصّر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها . وسلّم الرب بيده يهوياقيم ملك يهوذا مع بعض آنية بيت الله فجاء بها إلى أرض شنعار إلى بيت إلهه وأدخل الآنية إلى خزانة بيت الهه . وأمر الملك اشفنَزَ رئيس خصيانه بأن يحضر من بنى إسرائيل ومن نسل الملك ومن الشرفاء فتيانا لا عيب فيهم . . وكان من بينهم من بنى يهوذا دانيال و . . . » .

دانيال ١ : ١ — ٦

(١) وهى نبوءة لم تصدق ، إذ أن أنطيوخس لقى مصرعه فى إغارة له على مدينة فارسية تبعد قرابة ٥٠٠ كيلو متر عن بحر قزوين .

على حين يذكر سفر الملوك أن ذلك كان فى السنة الحادية عشرة من حكم ذلك الملك .

« كان يهوياقيم ابن خمسة وعشرين سنة حين ملك . وملك إحدى عشرة سنة فى أورشليم » .

٢ ملوك ٢٣ : ٣٦

« فى أيامه صعد نبوخذ ناصّر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبدا ثلاث سنين ثم عاد فتمرّد عليه . فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيّين وغزاة الأراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بنى عمّون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذى تكلّم به عن يد عبيده الأنبياء » .

٢ ملوك ٢٤ : ١ — ٢

(ب) وهو يقول :

« بيلشاصّر الملك صنع وليمة عظيمة لعظمائه الألف وشرب خمرا قدّام الألف ، وإذ كان بيلشاصّر يذوق الخمر أمر بإحضار آنية الذهب والفضة التى أخرجها نبوخذ نصّر أبوه من الهيكل الذى فى أورشليم ليشرب بها الملك وعظماؤه وزوجته وسراريه » .

دانيال ٥ : ١ — ٢

وهو يزعم أن الملك آنَس يداً بشريّة تخطّ على جِدار قصره كتابةً مستعجمة فوجِل قلبُه واصطكّت ركبتاه ، فأشارت عليه الملكة أن يفزع إلى دانيال وقالت له فى ذلك :

« إن الملك نبوخذ نصّر أبوك جعله كبير المجوس والسحرة والكلدانيين والمنجّمين . أبوك الملك[1] » .

دانيال ٥ : ١١

فجاء دانيال إلى الملك هادرا يعنُف به لأنه احتسى الخمر فى الآنيَة المجتلبَة من هيكل أورشليم ، وقال إن هذا الخط السحرىّ المتوهّج على الجِدار يُقرأ هكذا : « منا منا تقَيْل وفرْسين » ثم شرع يفسّر هذا اللغو قائلا :

« منا : أحصى الله ملكوتك وأنهاه .

تقيل : وُزِنتَ بالموازين فوجدْتَ ناقصا .

فرس : قسمت مملكتُك وأُعطِيَتْ لمادى[2] وفارس » .

دانيال ٥ : ٢٦ — ٢٨

---

(١) الترجمة العربية غير محكمة ، والجملة فى الإنجليزية .

made master of the magicians, astrologers, Chaldeans, & soothsayers.

وهم أربع طوائف من محترفى السحر والشعوذة .

(٢) كانت ميديا فى القرن التاسع والثامن ق . م إمارات متفرقة تعرضت لحملات الأشوريين حتى عهد سرجون الثانى . وفى سنة ٥٥٩ ق . م خلع قورش الكبير سيده استياجيز فأصبحت ميديا فى سنة ٥٥٠ ق . م جزءا من الإمبراطورية الفارسية .

ولم ينكر العاهل الكبير على هذا المشعوذ الإسرائيليّ جُرأتَه وتطاوله عليه ولا جبهه إياه بهذا النذير الذى يتهدّده هو وبلادَه ، ولم يَفْرُطْ عليه فى القول بل إنه أعلن رضاه عنه وأعلى منزلتَه ورفع مرتبته فجعله ثالث ثلاثة فى مملكته . وكان ذلك آخر أمر صدر عنه .

« حينئذ أمر بيلشاصّر أن يلبسوا دانيال الأرجوان وقلادة من ذهب فى عنقه وينادوا عليه أنه يكون متسلطا ثالثا فى المملكة. فى تلك الليلة قُتل بيلشاصّر ملك الكلدانيين فأخذ المملكة داريوس المادى وهو ابن اثنتين وستين سنة » .

دانيال ٥ : ٢٩ — ٣١

ويؤخذ من هذا السِّفْر أن داريوس وأبوه أحشويروش، الذى تزوّج إستير ، كانا يعيشان فى تلك الأيام ، بيد أن ألواح الصَّلْصال التى تركها قورش الكبير ملكُ فارس تكشف ، هى وغيرُها من الوثائق المأثورة(١) عن ذلك العصر ، عن وفرة الأخطاء التى ارتطم فيها هذا السِّفْر المقدّس، وتُبرز حقائق ثابتةً هى :

١ — أن بيلشصّر لم يكن قطُّ ملكا على بابل .

---

(١) أثر الحديث : نقله ورواه عن غيره فهو آثر والحديث مأثور ، والمقصود هنا : الوثائق الموروثة من ذلك العصر .

٢ — أن آخر ملوك بابل يُدعى نبونيدوس .

٣ — أن تلك المملكة أُخذت حيلةً وخداعا لا غِلابًا واغتصابا .

٤ — أن الذى أخذها هو قورش الفارسىّ لا داريوس المادِىّ .

٥ — أن داريوس لم يكن ابن أحشويروش (المعروف باسم إجزرسيس) بل كان أباه .

٦ — أن جميع الأسماء البابلية التى وردت فى هـذا السفر داخَلها التصحيفُ (أُخطىء فى تهجئتها) ، وهى تبدو كأنها غريبة على الـكاتب .

٧ — أن نبو خذ نصّر لم يكن له ابن اسمه بيلشصّر .

٨ — أنه ليس من طبائع الأشياء أن يتحدّث أهل بابل إلى ملـكهم بلسان اليهود .

« فـكلّم الـكلدانيّون للملك بالأرامية عِشْ أيها الملك إلى الأبد » .

دانيال ٢ : ٤

شواهد التزوير

وما فتىء الكهنة يلجُّون فى العبث بتوراة موسى فلم تقف أسفارها عند وضع ولا استقرّ قرارُها حتى عهد الأسكندر الأكبر(1) ، فأصبحت تنطوى على أمور لا يَسُوغ أن تكون قد أُوحىَ بها إلى موسى ولا أن يكون موسى قد جاء بها من عنده أو بلغت مسمعهَ .

---

(1) هو الأسكندر الثالث ملك مقدونيا ، ولدته أوليمبياس زوجة فيليب المقدونى سنة ٣٥٦ ق . م وهى فى المنفى وزعمت أنه سليل أحد الآلهة . اعترف به أبوه بعد لأى وأسلمه إلى العالم الفيلسوف أرسطو ليثقف عقله ويهذب طبعه ويبصره بأصول الحكم ، وجلب له فى الوقت نفسه مهرة المدربين فى فنون الفروسية والقتال، فاكتملت له رياضة الجسم والعقل . ولما اعتلى كرسى الملك أنشأ يجوب بلاد الشرق الأوسط غازيا فاتحا .

غزا مصر فرحب الأهلون بمقدمه إذ كانوا قد ضجروا بحكم الفرس وبما جروا عليه من الازدراء بدين أهل البلاد ، ولهذا بدأ الأسكندر جولته فى مصر بزيارة الآلهة القوميين قربة وزلفى ، ثم اختط مدينة الأسكندرية .

وناتبه الحمى فى بعض الأصقاع الموبوءة التى مر بها على رأس جيوشه فوافاه الأجل فى بابل سنة ٣٢٣ ق . م قبل أن يحقق أحلامه العريضة .

وقد مات دون عقب فاجتمع كبار قادة الجيش للنظر فى هذا الأمر جريا على عادتهم فى مثل هذه الحال ، فأجمعوا أمرهم بعد مداولتهم الرأى أن يتوزعوا الأقاليم ، فكانت مصر من نصيب بطليوس بن لاجوس .

١ — فقد تحدّث فى التوراة بصيغة الماضى فى أمور لم تقع إلا بعد مواراته رَمسه .

« وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة[1] حتى جاءوا إلى أرض عامرة . أكلوا المنّ حتى جاءوا إلى أرض كنعان » .

خروج ١٦ : ٣٥

---

(١) وهى المدة التى لبثوها تائهين فى صحارى سينا وهى صحار قفراء جرداء لا ينبت بها زرع ولا يدر ضرع .

« فقال الرب لموسى ها أنا أمطر لكم خبزا من السماء فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها » .

خروج ١٦ : ٤

وهذا المن مادة فى قوام الصمغ وله خواص عجيبة

(ا) . فمهما جد المرء فى التقاطه أو تهاون فى ذلك فهو يجمع منه مقدارا ثابتا .

(ب) . وهذا المقدار الذى يجمع فى الصباح يجب أن يؤكل قبل انقضاء اليوم دون محاولة ادخار شىء منه إلى غد . فإنه إذا بقى إلى غد دود وبطل الانتفاع به .

(ج) فيحسن للمبادرة إلى خبزه وطبخه فى الصباح الباكر ، إذ أنه إذا تريث القوم حتى يستحر النهار لم يلبث أن يذوب مكانه وإن كان لا يذوب عندما يخبزونه فى الملة (وهى الرماد الحار) أو يطبخونه فى الماء .

(د) يستثنى من أحكام المادة الثانية ما يجمع فى يوم الجمعة لأن السبت يوم عطلة فى السماء والأرض فلا يسقط فيه المن ، ولهذا كانوا يحصلون فى يوم الجمعة على ضعف المقدار اليومى المألوف .

« فوضعوه إلى الغد كما أمر موسى . فلم ينتن ولا صار فيه دود . فقال موسى كلوه اليوم لأن للرب اليوم سبتا . اليوم لا تجدونه فى الحقل » .

خروج ١٦ : ٢٤ — ٢٦

٢ — بل لقد تحدّث بتلك الصيغة فى أمور حدثت بعد أن تحوّل نظام الحكم من الكهنوتيـة إلى الملكية[1] ، وقد مضت أربعة قرون ؛ فقال :

« وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما مَلَكَ ملِكٌ لبنى إسرائيل » .

تكوين ٣٦ : ٣١

٣ — كما أنه تحدّث إلى قومه ، فى صدد تلك الفترة التى كانوا فيها مايزالون تائهين فى سينا ، حديثَ من يذكر أمرا بعيد العهد طال عليه القدم .

« ولما كان بنو إسرائيل فى البرّيّة وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت » .

عدد ١٥ : ٣٢

---

(١) اعتور الحكم فى بنى إسرائيل بعد موت موسى ويشوع طائفة من أبطال الرتبة الثانية من أمثال جدعون ويفتاح وشمشون ممن يطلق عليهم لقب « القضاة » وإن لم يكونوا قضاة بالمعنى الذى نفهمه الآن من هذه الكلمة . وقد تخللت هذه الفترة أوقات كان الكهنة يتولون فيها تصريف أمور البلاد . ودامت الحال على هذا المنوال أكثر من أربعة قرون ، ثم ضاق الناس بهم فخلعوا من الحكم صموئيل الرائى ونصبوا مكانه أول ملك متوج على البلاد وهو شاوول (طالوت) فحكمها بين سنة ١٠٢٥ ق . م وسنة ١٠١٠ ق . م .

٤ — استعمل المصطلح « عبر الأردنّ » للدّلالة على الضَّفَّة الشرقية للنهر .

« هذا هو الكلام الذى كلم به موسى إسرائيل فى عبر الأردنّ فى البرية ... » .

تثنية ١ : ١

وهو ما يقتضى أن يكون المتكلّم مقيما بالضفّة الشرقية للنهر ، والمعروف أن بنى إسرائيل لم يعبروا النهر من غربيِّه إلى شرقيِّه إلا بعد أن قضى موسى وخلَفَه على الزعامة خادمه يشوع .

٥ — وسنّ لهم قوانينَ لم يكن ثم وجهٌ للتحدّث فيها إلى قوم من غير قطّان المدن التى ضربت بسهم فى مَيدان الحضارة ، وذلك على حين أنهم كانوا ما يزالون يَضربون فى تلك الفيافى المقفرة ، وهو مايقطع بأن تلك القوانينَ قد سُنّت بعد موت موسى بقرون .

(ا) فقد نهاهم فيها عن تناول ثمار الشجر — الذى درجوا[1] دون أن يزرعوه — قبل أن تنقضىَ على غرسه خمس سنوات .

« ومتى دخلتم الأرض وغرستم كل شجرة للطعام تحسبون ثمرها غرلتها . ثلاث سنين تكون لكم غلفاء . لا يؤكل منها.

---

(١) درج القرم : ماتوا وانقرضوا .

وفى السنة الرابعة يكون كل ثمرها قدسا لتمجيد الرب . وفى السنة الخامسة تأكلون ثمرها » .

لاويون ١٩ : ٢٣ — ٢٥

(ب) وفرض عليهم فريضة يؤدّونها إلى الكاهن عند إجراء التّعداد العامّ فأوجب عليهم أن يدفعوها إليه مضروبةً فى سكّة[1] القدس .

« يعطون كل واحد فِدية نفسه للربّ عندما يعدّهم لئلا يصير فيهم وبأ عندما تعدّهم . هذا ما يعطيه كل من اجتاز إلى المعدودين نصف الشاقل[2] بشاقل القدس »

خروج ٣٠ : ١٢ — ١٣

« وأما فداء المئتين والثلاثة والسبعين الزائدين على اللاويين من أبكار إسرائيل فتأخذ خمسة شواقل لكل رأس . على شواقل القدس تأخذها » .

عدد ٣ : ٤٧

ومن المعلوم أن مدينة القدس لم تكن قد فتحها اليهود بعد ولم

(١) السكة : حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم ، يقال « ضرب الدرهم فى سكة فلان » .

(٢) قوم الشاقل بثلثى دولار أمريكى، على أن القيمة الشرائية للنقد فى تلك الأيام كانت عالية جداً .

تكن قد ضُربت فيها عملة بعد ، فالكلام فى عملتها مقدّما خطأ فى الترتيب الزمنىّ للحوادث (أنَكْرونزِم) .

(ج) وأوجب على كل امرأة والدة أن تبذُلَ للكاهن زوجَى حمام عن كل مولود تضعه[1] .

« ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حولىّ محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيّة إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن . . . وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخَى حمام الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطيّة فيكفر عنها الكاهن » .

لاويون ١٢ : ٦ — ٨

---

(١) كان عدد الإسرائيليين فى سينا قرابة ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ فكان من الطبيعى أن يحدث بينهم مالا يقل عن ٣٠٠ ولادة فى اليوم ، ولم يكن ثَم غير ٣ من الكهنة هم هرون وابناه ألعازار وإيثامار .

« وهذه تواليد هرون وموسى يوم كلم الرب موسى فى جبل سيناء .
وهذه أسماء بنى هرون . ناداب البكر وأبيهو وألعازار وإيثامار .
هذه أسماء بنى هارون الكهنة الممسوحين الذين ملأ أيديهم للكهانة .
ولكن مات ناداب وأبيهو أمام الرب عندما قربا نارا غريبة أمام الرب فى برية سيناء ولم يكن لهما بنون وأما ألعازار وإيثامار فكهنا أمام هرون أبيهما » .

عدد ٣ : ١ — ٤

فكان على كل منهم أن يزدرد ٢٠٠ حمامة كل ٢٤ ساعة .

ومن الواضح أن الحمام لم يكن فى متناوَل أيدى أولئك الضالّين فى الصحراء وهم الذين لم يجدوا لهم غير المنّ طعاما .

(د) وتقدّم إلى الكهنة بأن يتّخذوا من الكتّان ستائر يُسدلونها وثيابا يلبَسونها .

« ثم يلبس الكاهن ثوبه من كتّان ويلبس سراويل من كتان على جسده » .

لاوِيون ٦ : ١٠

وبأن يتّخذوا لهم أمتعة وحليًّا من الذهب والفضّة مرصّعة بالجواهر والأحجار الكريمة .

(هـ) وحرّم عليهم أن يذوقوا خمرا أو يأكلوا عنبا ألم يكن الحديث فى كل أولئك سابقا لأوانه وليس فى الإمكان أن يتحقّق منه شىء قبل أن يطوِىَ بطنُ الأرض قائلَه وسامعيه أجمعين .

وأنّى لبنى إسرائيلَ فى تلك الفيافى نسيجُ الكتّان ؟ وأنّى لهم الحوّارَى ؟ والزيتُ ؟ وجلود الكباش والصِّبغ الأحمر الذى يصبغونها به ؟ والمنسوجات الزرقاء والأرجوانيّة ؟ وكيف تأتّى لأولئك العبيد الآبقين أن يصوغوا كروبَيْن[1] من ذهب وأن

(١) كروب كلمة عبرية يجمعونها على كروبيم ، ومعناها حافظ أو حارس أو مقرب . والكروبيون : سادة الملائكة أو المقربون منهم .

يموّهوا[1] الأكاليل بالذهب ؟ وأن يصنعوا سلاسل وملاعق وملاقط ؟ وأنىّ لهم الأدواتُ التى لاغُنيةَ عنها فى إعداد هذه الأشـياء ؟ أليس الحديث فى كل ذلك دليلا على أن هذه التوراة كُتبت بعد أن استقرّ اليهود فى فِلَسطين وأصبحت لهم شريعة مكتوبة ؟

٦ — هذا ومن الملاحظ أن بعض من يلعبون الأدوار الرئيسية فى قصص الـكتاب المقدّس يتَسَمَّون بأسماء تَنُمّ على ماسيكون من أمر أصحابها ، وهو ما يوحى بأن تلك القصص موضوعة وضعا .

(١) فقد دعا آدمُ امرأته حواء لأنها ستصبح أم الأحياء أجمعين .

« ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حىّ » .

تـكوين ٣ : ٢٠

وقد ولدت فى بادىء الأمر ولدَين أودى أحـدُهما بالآخر ، فأما القتيل فـكان اسمه آبل ، ومعرّبه هابيل ، وقد فسّر يوسِفوس هذا الاسم لغويًّا بأنه يعنى حزنا أو حسرة ، وفسّره العلماء المحـدَثون بأن معناه عدَم أو وهن أو باطل .

وأما القاتل فـكان اسمه قايين (ومعربه قابيل) وهذا الاسم مشتقّ

---

(١) موه الشىء بماء الفضة وماتحت ذلك شبه أو نحاس أو حديد : طلاه ، يقال هذا نحاس مموه بالفضة أى مطلى بماء الفضة .

من فعلٍ عبرىّ معناه يضرب أو يطعن ، فهو ينطوى فى تضاعيفه على معنى العنف أو القتل .

(ب) وقد كان إبراهيم يُدعى فى الأصل « أبرام » ويتكوّن هذا الاسم من كلمتين عبريتين هما « أب » بمعناها فى العربية و « رام » بمعنى « الأعلى » ومن ثم يكون تارح أبو أبرام قد أسمى ابنه « الأب الأعلى » كأنما كان يتوقّع لابنه أن يؤسّس أسرة تنتظم أنبياء الأديان السامية الثلاثة وتظل قابضة على صولجان النبوّة حتى يقبضَ خاتمُ الأنبياء . وقد بدا ليهوه فيما بعد فغيّر اسم نبيه وجعله « إبرهيم » .

« فلا يُدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبرهيم لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمّرك كثيرا وأجعلك أمما . وملوك منك يخرجون » .

تكوين ١٧ : ٥ — ٦

(ج) وسُمِّىَ يعقوب بهذا الاسم لأنه خرج من رحم أمه ممسكا بعقبَ أخيه التوأم .

« وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدُعى اسمه يعقوب » .

تكوين ٢٥ : ٢٦

وهذه الحادثة التي كانت علّةَ تسمية يعقوب باسمه هى عُنوان لما حدث منه بعد ذلك فى حقّ أخيه فقد ظل يتعقّبه حتى جرّده من حقّ البكورية وسلبه البركة التي كان يدّخرها له أبوهما إسحق ، وحزّ ذلك فى نفسه .

« فقال ألا إن اسمه دُعى يعقوب فقد تعقّبنى الآن مرّتين.

أخذ بكوريتى وهوذا الآن قد أخذ بركتى » .

تكوين ٢٧ : ٣٦

(د) وذلك الكهل الموسر الذى استنكف أن يؤدّىَ ما ضربه عليه داود من إتاوة فآلى داود على نفسه أن يبطش به فى يومه وألا يدع له

« إلى ضوء الصباح بائلا بحائط » .

١ صموئيل ٢٥ : ٢٢

فتهادت زوجته الشابّةُ الحسناء إلى داود تعتذر له عما أتى زوجها من حماقة فهَشّ داود لها وأبدى إعجابه بها . ومرض زوجها فى الصباح مرضا غريبا مريبا لم يمهله طويلا ، فلم يتمّ داود أن ضمّها إلى حريمه .

هذا الرجل الذى أغضب داود ، بأنفَته وإبائه ، كان يدعى نابال أى الأحمق . استمِعْ إلى زوجته الحسناء تستعطف داود .

« لا يضعن سيدى قلبه على الرجل اللئيم هذا على نابال لأن كاسمه هكذا هو نابال اسمه والحماقة عنده » .

١ صموئيل ٢٥ : ٢٥

(ﻫ) وذلك الشاب الذى كان تلميذا للسيد المسيح فسوّلت له نفسه أن يبيع معلمه لشانئيه بثلاثين قطعة من الفِضَّة ، ذلك الشاب يدعونه يهوذا الإسخريوطى . وقد توهَّم الناس قبلُ أن فى الاسم نسبةً إلى قرية تُدعى « كريوت » ثم انضح أن هذا الاسم إن هو إلا ترجمةٌ بسيطة ساذِجة لكلمة « اليهودى الخائن » .

وهلمّ جرا . .

٧ — على أننا نبلغ ذِروة الإغراب إذ نقرأ فى التوراة .

« فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب . ودفَنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور . ولم يعرف إنسان قبره إلى هـذا اليوم . وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل ّ عينه ولا ذهبت نضارته . فبكى بنو إسرائيل موسى فى عربات موآب ثلثين يوماً . فكملت أيام بكاء مناحة موسى ... ولم يقم بعد نبىّ فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه[1] » .

تثنية ٣٤ : ٥ — ١١

---

(١) الصواب أنه عرفه وجها لظهر :
« لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش . وقال الرب هوذا عندى مكان فتقف على الصخرة . ويكون متى اجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة واسترك بيدى حتى اجتاز . ثم أرفع يدى فتنظر ورائى . وأما وجهى فلا يرى » .
(خروج ٣٣ : ٢٠ ـ ٢٣)

فإذا كان موسى هو حقا كاتبَ التوراة أو الموحَى إليه بها فقد نعى نفسه وأملى مرثيته ووصف كيف أن قومه أمضَوا فى النُواح عليه ثلاثين يوما من الأربعين عاما التى أضلّهم فيها بين كثبان الصحراء وكيف أن الله جلّ جلالُه واراه التراب بيديه القدسيتّين ، وأفضى موسى بذلك كله إلى كاتب الوحى سلفا قبل أن يُعبِطَه الموت ، أو بأَخَرَةٍ بعد أن مات ، وتلك أحرى أن تكون معجزته الكبرى .

وقد فطِن الناس فى أزمنة متأخّرة إلى ما فى ذلك من المحال[1] ، فكان قصارى ما احتجّ به لفيف من أحبار اليهود أن النسخة الأصليّة لتوراة موسى قد التهمتها النيران خلال الغزو البابلىّ فلما آب عِزْرا[2] عند

(١) المحال : ما اقتضى الفساد من كل وجه و — الباطل من الكلام .

(٢) وهو من سلالة هرون الكاهن شقيق موسى ، وقد عاد إلى بلاده من الأسر مزودا بمعلومات دينية جديدة وآراء إصلاحية طريفة ، وقاّم ملك يهوذا بما يتوق إليه من إصلاح الشريعة اليهودية فأنس الملك إليه وناط ذلك به ، فسار عزرا على نهج جده حلقيا عندما :

« قال حلقيا الكاهن العظيم لشافان قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرب . وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه » .

(٢ ملوك ٢٢ : ٨ — ٩)

إذ وضع (عزرا) شريعة جديدة نسبها إلى موسى وأبلغها إلى الناس :

« اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التى أمام باب الماء وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتى بسفر شريعة موسى التى أمر بها الرب إسرائيل . فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء ... =

انتهاء الأسر بين من آبوا من المتقاء استلهم الوحىَ صورةً أخرى للشريعة المفقودة فأطلبه[١] يهوه طَلِبَته وأكتبه إياها ، ولا غروَ فى ذلك فقد أكتب يهوه موسى من قبلُ صورةً جديدة من وصاياه بدل النسخة الأولى التى كان قد كتبها بنفسه على لوحين من الحجر قبل أن يتعلم العبريّون القراءةَ والكتابة . وهى النسخة التى تناثرت مع اللوحين الحجريَّيْن إذ حطمهما موسى ليسرِّىَ عن نفسه سخَطه على قومه لعبادتهم العجل الذهبىّ الذى صاغه لهم أخوه هرون .

= وفتح عزرا السفر أمام كل الشعب لأنه كان فوق كل الشعب . وبارك عزرا الرب الإله العظيم وأجاب جميع الشعب آمين آمين رافعين أيديهم وخروا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض ... وقرأوا فى السفر شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة » .

(نحميا ٨ : ١ — ٨)

(١) أطلب فلانا : أعطاه ما طلب .

الترجمة العربية

وقد بدا للسادة الفضلاء الذين نقلوا التوراة إلى العربيّة أنها تحتمل المزيد من التبديل والتعديل ، فهزّتهم الأَرْيَحِيَّةُ إلى استدراك هذا النقص ، واختَصُّوا الترجمةَ العربية بباقة[1] جديدة من التنقيحات لم تحظَ بمثلها سائر الترجمات .

ولسنا ننكر أن ترجمة الكتاب المقدّس من لغاته الأصليّة (العبرانيّة[2] والكلدانيّة واليونانيّة) إلى أية لغة حيّة أمر ليس بالهيّن ،

---

(١) الباقة : الحزمة من البقل .

(٢) عند ما وفد العبريون نحو سنة ٤٠٠ ق . م من البادية الجدباء التى كانوا يضطربون فيها إلى أرض كنعان الخصيبة جعلوا ينصرفون عن اللهجة الأرامية التى كانوا يتخاطبون بها ، وهى قريبة من العربية ، إلى لغة الكنعانيين وأخذوا منها الكثير من مفرداتهم اللغوية وقواعدهم النحوية فكانت اللغة العبرية .

وقد هانت مكانة اللغة العبرية بين اللغات الحية فى القرن السادس ق . م . ذلك أن نبوخذ نصر ملك بابل غزا مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م . وأخرب حاضرتها أورشليم وهدم هيكل سليمان فيها وسبى ألوفا من أهلها نقلهم إلى بلاده (للانتفاع بهم ولاتقاء نزوعهم إلى المشاغبة وإثارة الفتن) فشب أولادهم لا يتكلمون غير لسان سادتهم ، ولما اجتاح الملك الفارسى قورش الكبير بلاد بابل فى سنة ٥٣٨ ق . م أطلق من كان بها من أسارى اليهود جزاء لهم بمعاونتهم إياه فى هزم بابل . وعاد اليهود الى مملكة يهوذا وقد حملوا معهم اللغة الكلدانية (وهى المعروفة بالأرامية الشرقية) فشاعت فى البلاد وأصبحت لغة القوم قاطبة ، على حين تقلصت اللغة العبرية وغدت لغة ميتة لا يحذقها

فقد كانت اللغة العبرية — وهى لغة معظم الكتاب — تُكتب بحروف مهملة لا يميز بينها النقط ولا يبين حركاتها الضبط .

وقد عانت اللغة العربية أيضا هذه الصعوبة أول عهدها بالكتابة ، فكان على القارىء أن يركنَ إلى الحدْس والتخمين فى تعيين ماهية كل حرف من الأحرف المتشابهة : أباء هو أم تاء أم ثاء أم ياء أم نون ، وجيم أم حاء أم خاء[1] ؟ وأن يعمِدَ إلى مراعاة السياق ليدرك على أى

= غير خاصة العلماء إذ كانوا يتداولونها فى مجامعهم ويتناقلونها شفاها فيما بينهم جيلا اثر جيل .

وأصيب اليهود بعد خمسة قرون ونصف قرن ، أعنى فى سنة ٧٠ م بضربة قاصمة أخرى على يدى تيطس قائد جيوش والده الإمبراطور فسبسيان ، إذ اقتحم أورشليم وأخربها وأحرق هيكلها الثانى ونكل بمن فيها وقد شتتت كل من هاتين الضربتين شمل اليهود فتفرقوا طرائق قددا . ويممت قبائل وأوزاع منهم صوب الجنوب قاصدين قصد الجزيرة العربيــة والعراق حيث لابسوا العرب وتبنوا عاداتهم وأعرافهم وتكلموا لسانهم .

ولما دان العرب بالإسلام بذلوا العناية القصوى بصون كتابهم المنزل من عبث العابثين وإفساد المفسدين ، فجندوا العلماء لرسم المصحف ونقط حروفه وضبطها بالحركات فلقن نزلاؤهم اليهود هذا الدرس منهم وعمدوا إلى إعجام كلماتهم فيه ، ووضعت الحركات لضبط الألفاظ فى اللغة العبرية فى القرن السابع الميلادى . وتوفر لفيف من علماء اليهود على ضبط النسخة العبرية من العهد القديم ، وهى تعرف باسم النسخة الماسورية (أى التقليدية) تمييزا لها من النسخ غير المضبوطة بالحركات .

مستخلص من كتاب « من الأدب العبرى » تأليف د . فؤاد حسنين على

(١) وهذا يتبين جليا فى طرفة لأبى القاسم الحريرى ، فقد صنع أبياتا فى مقامته السادسة والأربعين إذا أنت حذفت النقاط التى على حروف كلماتها ألفيت كل كلمة فيها أشبه التى إلى جوارها حتى ليصعب عليك أن تقرأها . =

وجه تُنْطَق الكلمة ؟ وليتبين أفعل ثلاثىٌّ مجرّد هى أم فعل مضعّف، ومبنيّة للمعلوم هى أم لما لم يسمَّ فاعله ؟ وهل الكلمة التى تُكتب هكذا « كتب » هى كَتَبَ أو كَتَّبَ أو كُتِبَ أو كُتِّبَ أو كُتُبٌ أو كَتْبٌ (أحد مصادر الفعل كتب)، وتلك التى تكتب هكذا « قمل » هل هى قَمِلَ أو قُمَّل . وعلى أى نحو تقرأ جملة « حسن صرف المال فى وجوه الخير » أتقرأ : حَسَنٌ صَرْفُ المال أو حَسَنٌ صَرَفَ المالَ أو حُسْنُ صَرْفِ المال أو حُسِّنَ صرفُ المال وهلمَّ جرًّا[1] . أجلْ ، لقد شقيَت اللغة العربية بهذه المصاعبَ فى أول عهدها بالتدوين ، ومما يستوقف النظر

زينت زينب بقد يقد ... وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ... ناعس تاعس بحد يحد

قدرها قد زها وتاهت وباهت ... واعتدت واغتدت بخد يخد

فارقتنى فأرقتنى وشطت ... وسطت ثم نم وجد وجد

(١) يضاف إلى ذلك أن معانى الألفاظ غير مسجلة فى معجم يرجع إليه لتحديد المعنى الذى كان لكل كلمة على توارد العصور التى دونت فيها شتى الأسفار ، وذلك ما تداركه الإنجليز بالنسبة للغتهم فى معجم أكسفورد .

والخطب أهون فيما يتصل باللغة العربية ، فإن نصيبها من تطور دلالات الألفاظ قليل نسبيا ، إذ أن توفر الناطقين بها على حفظ القرآن أدام للكلمات بوجه عام دلالاتهـا على مر العصور . وفى المعجمات العربية ما يكشف عن تغير الدلالات العصرية للألفاظ فى عصور محدودة من حياة اللغة ، ومع ذلك فلا مفر من الاعتراف بأن اللغة العربية تفتقر فى هذا العصر الحديث إلى معجم مبين .

أن أكثر اختلاف القراءات مجاله الاختلاف فى صورة الكتابة من حيث :

١ — النقْط .

٢ — الضبط .

٣ — قواعد الرسم .

فنحن حين نطالع المصحف الذى بين أيدينا نجد أنه فى سورة الفرقان — مثلا — وهى تشتمل على ٧٧ آية ـ ١١ كلمة يختلف فيها القراء[1] وهى :

(١) والمشهور عند رجال الدين أن السبب الأصيل لتباين القراءات فى السور إنما يرجع إلى الكيفية التى قرأ الوحى بها على محمد نص القرآن بعد جمعه . وقد تناقل القوم هذه القراءة بالتلقين قارئا عن قارىء وخالفا عن سالف . وكان الناشئون يتلقون القرآن من شيوخهم تحفيظا وتجويدا . ومن ذلك نرى أن المعول عليه فى قراءة القرآن هو التلقين والحفظ لا المصاحف المكتوبة . وفى القول المأثور : لا تأخذ العلم من صحفى ولا القرآن من مصحفى .

رقم الآية	نصـــها	فى القراءة الأخرى
٨	أو تكون له جنة يأكل منها .	نأكل
١٠	ويجعلْ لك قصـــورا .	ويجعلُ
١٩	فما تستطيعون صرفا ولا نصرا	يستطيعون
٢٥	ويوم تَشَقَّق السماء بالغمام .	تشّقّق
٢٥	ونُزِّل الملائكة تنزيلا .	ونُنزل
٤٨	وهو الذى أرسل الرياح .	الريح
٤٨	بُشراً .	نَشراً
٤٩	ولقد صرّفناه بينهم ليذّكروا .	ليذْكروا
٦٠	وقالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا .	يأمرنا
٦١	سراجا وقمرا منيرا .	سُرُجا
٦٩	يضاعف له العـــذاب .	يضعّف

وقد تؤدى تعرية الكلمة عن الضبط إلى تنكير مادّتها اللغوية تنكيرا كاملا .

فكلمة « فتبيّنوا » فى الآية :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا

قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » .

الحُجرُات ٦

يقرؤها بعض القرّاء « فتثبّتوا » من التثبّت أى التحقّق .

وكلمة « تُكَلِّمهم » فى الآية :

« واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » .

النمل ٨٢

يقرؤها بعضهم « تَكْلِمهم » أى تجرحهم .

وكلمة « الصُّوْر » فى الآية :

« ... ونُفخ فى الصور فجمعناهم جمعا » ،

الكهف ٩٩

أى إذا نَفَخ إسرافيل فى البوق إيذانا بحلول ساعة الحشر .

يقرؤها بعضهم « الصُّوَر » جمع صورة أى الأبدان ، ويكون المعنى : وبُعثت الأرواح إلى أجسادها .

وإذا كان الأمر كذلك فى اللغة العربية فما بالك به فى اللغة العبريّة وهى لم تعرف علامات الإعجام والضبط إلا فى القرن السابع الميلادىّ .

وأنىَّ لنا العلمُ بأن أولئك الذين تولَّوا ضبط التوراة قد أحكموا وضع هذه النقط والعلامات فى مواضِعها الحقَّة من كلمات المتن دون ما تحريف أو تبديل ؟ .

لقد كانت هذه المصاعب العويصة ، بالإضافة إلى جلالة الكتاب المقدّس ، حرِيَّةً ألا تدعَ امرءا يتصدّى لترجمته ما لم يكن حاذقاً فى اللسانُ الذى ينقُل عنه بليغا فى اللسان الذى ينقُل إليه بصيرا بفنّ الترجمة حفيّاً[1] بالموضوع الذى يترجم مما كُتب فيه . ولكن ذلك ما لم يكن ، فإن الذين توفّروا على هذه الترجمة هم لفيف من رجال الكهنوت المسيحىّ لم تتوافر لهم هذه الكفايات ، ولهذا جاء المتن العربىّ :

١ — مشوبا بأغلاط نحوية[2] .

٢ — مخلوطا بألفاظ دخيلة على اللغة[3] .

---

(١) الحفى : العالم المستقصى .

(٢) قول داود :

ولكن الله قال لى لا تبنى بيتا لاسمى لأنك أنت رجل حروب وقد سفكت دما »

(١ أخبار ٢٨ : ٣)

والصواب : لا تبن .

(٣) مثل :

« الكرازة » أى الدعوة إلى الدين وهى معربة عن الكلدانية .

و « الكروبيم » أى سادة الملائكة وهى معربة عن العبرانية .

٣ — مَعيبا بأغلاط إملائيّة نجم بعضُها عن محاكاة إملاء المصحف العثمانى [١] وهو لم يتطوّر من عهد الخليفة عثمان بن عفّان .

= و « الأسمانجون » وهو اللون الأزرق الأثير عند بنى إسرائل .
و « القداس » وهو — كما يقول صاحب أقرب الموارد — : الصلاة على الخبز والخمر مع الكلام الذى نطق به عليهما السيد له المجد فى العشاء السرى (نصرانية) .
وقد أضفت معاجم اليسوعيين ومن إليهم على بعض هذه الألفاظ ظلا من القدسية فوصفتها — كما رأينا — بأنها « نصرانية » .
انظر إلى قوله :
« فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم فإذا قالوا لى ما اسمه فاذا أقول لهم :
فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه . وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم » .
(خروج ٣ : ١٣ — ١٤)
وكلمة أهيه معناها « أنا الكائن » وبذلك يكون اسم الإله الذى كلم موسى « أنا الكائن الذى هو أنا الكائن » .
ثم انظر إلى قوله :
« ويلقى هرون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل » .
(لاويون ١٦ : ٨)
والمراد باسم عزازيل هو التيس المطلق ، ذاك الذى يطلقه كاهن اليهود فى البرية بعد أن يحمله ذنوب أهل البلدة جميعا فينطلق بها هائما على وجهه فتغفر جميع الذنوب لمقترفيها .

(١) كقولهم :
« وهذه سنو حيوة اسمعيل مئة وسبع وثلثون سنة » .
(تكوين ٢٥ : ١٧)
فقد حذفوا الألف من « إسماعيل » و « ثلاثون » واستبدلوا بالألف واوا فى « حياة » .

٤ — خاليا من علامات الترقيم المستعملة فى اللغات الراقية[1] .

مُجمَل القول أن المتن العربى للكتاب المقدّس يطالع قارئه بألفاظ ليس فيها جزالة وبأسلوب ما عليه طَلاوة . ويبدو ذلك أجلى ما يكون فى القِصص والأحكام التى عَرَض لها كلٌ من القرآن الكريم والكتاب المقدّس ، فإن الموازنة بين أسلوبَيهما تُرينا عبارةَ الكتاب المقدّس وقد بلغت من العِىّ ما بلغته عبارةُ القرآن من الفصاحة وروعة البيان .

ولنبدأ بقصّة موسى .

---

(١) فلم تثبت فيها الفواصل والأقواس وعلامات الاستفهام وما إليها .
ومن ذلك أنه ورد فى عرض حديث المسيح :
«فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال» .
(متى ٢٤ : ١٥)
ومن الواضح أن السيد المسيح لم يقل لسامعه كلمة (ليفهم القارىء) وأنها من كلام متى البشير أراد بها أن يسترعى النظر إلى أن هذه النبوءة قد تحققت ، ولهذا وضعت هذه الجملة المعترضة فى المترجمات الأجنبية بين قوسين .

الإصحاح الثالث

٢ — وظهر له ملاك الرب بلهيب من نار وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق .

٤ — فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال هأنذا .

٥ — فقال لا تقترب إلى هنا . اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة .

١٠ — إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى .

١١ — فلما أتاها نودى يا موسى .

١٢ — إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوًى[1] .

(١) طوى : اسم الوادى الذى رأى موسى فيه النار .

الإصحاح الرابع

٢ — فقال له الرب ما هذه فى يدك
فقال عصا .

٣ — فقال اطرحها إلى الأرض
فطرحها فصارت حيّة . فهرب
موسى منها .

٤ — ثم قال الرب لموسى مدّ يدك
وأمسك بذنبها . فمدّ يده وأمسك به
فصارت عصا فى يده .

٦ — ثم قال له الرب أيضا . أدخل
يدك فى عبك . فأدخل يده فى عبّه
ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل
الثلج .

١٧ — وما تلك بيمينك
يا موسى .

١٨ — قال هى عصاى أتوكأ
عليها وأهشّ بها[1] على غنمى
ولى فيها مآرب أخرى .

١٩ — قال ألقها ياموسى .

٢٠ — فألقاها فإذا هى حيّة
تسعى .

٢١ — قال خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الأولى .

٢٢ — واضمم يدك إلى
جناحك تخرج بيضاء من
غير سوء[2] آية أخرى .

(١) أهش بها على غنمى أى أخبط بها ورق الأشجار ليسقط فتأكله أغنامى .
(٢) فى قوله « من غير سوء » رد على كلمة برصاء كما أن فى قوله :
« ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا
من لغوب » .

= و (اللغوب : التعب) رداً على قول التوراة .

« فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل » .

(تكوين ٢ : ٢)

وفى قوله :

« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » .

(الجمعة ٩)

رداً على قول التوراة :

« ستة أيام يعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدس عملا ما لا تعملوا » .

(لاويون ٢٣ : ٣)

وفى قوله :

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون. لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ... » .

(الحج ٣٦ — ٣٧)

(البدن : الإبل) .

(صواف : قائمات صففن أرجلهن) .

(المعتر : السائل الذى لا يمكث مكانه مستكينا قانعا بما يتصدق الناس به عليه ، بل يعترضك بالسؤال) .

ردا على ما جاء فى التوراة من وصف الله بأنه أكول ، ففيها أنه تفضل ذات يوم هو واثنان من ملائكته بزيارة خليله ابراهيم وتناولوا الطعام عنده .

« ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم . وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا » .

— (تكوين ١٨ : ٨)

وفيها أن نوحا أولم له وليمة شواء عقب انحسار الطوفان فعفا عن البشر وآلى على نفسه ألا يغرقهم بالطوفان مرة أخرى . =

« وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا . وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان » .

(تكوين ١٨ : ٢٠ — ٢١)

ويقول القرآن :

« ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ... »

(الأنعام ١٦٤)

على حين تقول التوراة إن الله

« لا يبرىء بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع » .

(عدد ١٤ : ١٨)

(تثنية ٥ : ٩)

ويعرض القرآن للأقرباء يؤمن بالله بعض منهم ويشرك به بعض فيقول :

« ووصينا الإنسان بوالديه ... وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ... » .

(لقمان ١٤–١٥)

على حين تقول التوراة :

« إذا أغواك سرا أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك ... فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينيك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله . يدك تكون عليك أولا لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيرا ترجمه بالحجارة حتى يموت » .

(تثنية ١٣ : ٦ — ١٠)

٧ ـ ثم قال له ردّ يدك إلى عبّك فردّ يده إلى عبّه . ثم أخرجها من عبّه وإذا هي قد عادت مثل جسده	
١٠ ـ فقال موسى للرب . استمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أوّل من أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان .	٢٥ ـ قال رب اشرح لى صدرى ٢٦ ـ ويسّر لى أمرى ٢٥ ـ واحلُل عقدة من لسانى ٢٨ ـ يفقهوا قولى
١٤ ـ فحمى غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوى أخاك . أنا أعلم أنه هو يتكلم . وأيضا ها هو خارج لاستقبالك فحينما يراك يفرح بقلبه	٢٩ ـ واجعل لى وزيرا من أهلى . ٣٠ ـ هرون أخى ٣١ ـ أشدد به أزرى ٣٢ ـ وأشرِكه فى أمرى ٣٦ ـ قال قد أوتيت سؤلك ياموسى

الإصحاح الثانى

٣ — ولما لم يمكنها أن تخبئه بعدُ أخذت سفطا من البردى وطلته بالحُمَرَ(١) والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافَة النهر(٢)

٣٧ — ولقد مننّا عليك مرّة أخرى

٣٨ — إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى

٣٩ — أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليمّ(٣) فليُلقه اليمّ بالساحل يأخذه عدوّ لى وعدوّ له . وألقيت عليك محبّة منى(٤) ولتصنع على عينى(٥)

---

(١) الحمر (كزفر) ضرب من القار للعدنى .

(٢) يؤخذ من هذه الآية أنها وضعت التابوت على الشاطىء ولم تضعه فى الماء كما تقول الآية القرآنية الآنفة الذكر ، وبذلك يكون تقيير التابوت بالقار عملا لا غناء فيه ، وتكون ابنة فرعون (لا امرأته) قد أخطأت فى قولها :

« إنى انتشلته من الماء » .

(خروج ٢ : ١٠)

(٣) اليم : الماء و — البحر ، قيل وهو سريانى معرب .

(٤) أى أنعمت عليك بمحبة الناس إياك فأحبك فرعون وكل من رآك .

(٥) أى تربى برعايتى وحفظى لك .

٧ ـ فقالت أخته لابنة فرعون أذهبُ وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد .

٨ ـ فقالت لها ابنة فرعون اذهبي فذهبت الفتاة ودعت أم الولد

٩ ـ فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولد وأرضعيه لى وأنا أعطيك أجرتك . فأخذت المرأة الولد وأرضعته .

٤٠ ـ إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمّك كى تقرَّ عينُها ولا تحزن .

ولنثنِّ بقصّة لوط :

سورة هود	الإصحاح ١٩ من سفر التكوين
٧٨ ـ وجاءه قومُه يُهرَعون إليه ومن قبلُ كانوا يعملون السيئات .	٤ ـ وقبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ كل الشعب من أقصاها .
قال يا قوم هؤلاء بناتى هنّ أطهر لكم فاتّقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد :	٧ ـ لا تفعلوا شرًّا يا إخوتى ٨ ـ هوذا لى ابنتان لم تعرفا رجلا أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن فى عيونكم . وأما هذا الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما دخلا تحت ظل سقفى .
٧٩ ـ قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حقٍّ(١) وإنك لتعلم ما نريد	٩ ـ فقالوا أبعد إلى هناك .

(١) أى من حاجة .

سفر التكوين إصحاح ٣٩	سورة يوسف
٧ ـ وحدث بعد هـذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت اضطجع معى .	٢٣ ـ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك .
٨ ـ فأبى وقال لامرأة سيده هوذا لا يعرف معى ما فى البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدى .	قال معاذ الله إنه ربّى أحسن مثواى إنه لا يُفلح الظالمون .

وقس على ذلك قصّةَ ميلاد يوحنا المعمدان :

إنجيل لوقا ص ١	سورة مريم
١٣ ـ فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتَك قد سُمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميّه يوحنا	٦ ـ يا زكريّا إنا نبشّرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سَمِيّا .
١٨ ـ فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدّمة فى أيامها .	٧ ـ قال ربِّ أنَّى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغتُ من الكبر عِتِيّا .

١٩ ـ فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدّام الله وأُرسلتُ لأ كلّمك وأبشّرك بهذا .

٢٠ ـ وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدّق كلامى الذى سيتمّ فى وقته .

٨ ـ قال كذلك قال ربك هو علىّ هيّن وقد خلقتُك من قبلُ ولم تَكُ شيئا

٩ ـ قال رب اجعل لى آيةً قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويّا .

سفر التثنية ص ٢٥

١٣ ـ لا يكون لك فى كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة

١٤ ـ لا يكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة

١٥ ـ وزن صحيح وحقّ يكون لك ومكيال صحيح وحقّ يكون لك لكى تطول أيامك على الأرض

التى يعطيك الرب إلهك[١]

سورة المطفّفين

١ ـ ويل للمطفّفين

٢ ـ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون

٣ ـ وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون .

٤ ـ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون

٥ ـ ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين .

(١) لم يكن اليهود يؤمنون باليوم الآخر ، ولهذا جعل الكهنة جزاء الأمة إن صلحت أحوالها أن يطول استمتاعها بجنات فلسطين .

المزمور ١٠٤	سورة النحل
١٠ — المفجّر عيونا[١] فى الأودية بين الجبال تجرى .	١٠ — هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تُسيمون[٢] .
١٤ — المنبت عشبا للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض .	١١ — ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون .
١٩ — صنع القمر للمواقيت ٢٠ — تجعل ظلمة فيصير ليل	١٢ — وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون

(١) يلاحظ أنهم فى فلسطين يرتوون ويروون أراضيهم من ماء الينابيع على حين لا يعرف أهل الحجاز ماء عذبا غير ماء المطر .

(٢) أسام الإبل فى المرعى : خلاها ترعى .

٢ بطرس ص ٣	ســـــورة الحجّ
٣ — سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم	٤٧ — ويستعجلونك بالعذاب وان يخلف الله وعده
٤ — وقائلين أين هو موعد مجيئه	
٨ — ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحبّاء	
إن يوما واحدا عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد	وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون

أســــفار شتّى	آية الكرسى
إنه لا ينعس(١) ولا ينـــام حافظ إسرائيل	الله لا إله إلا هو الحىّ القيُّوم لا تأخذه سنة(٢) ولا نوم
مزمور ١٢١ : ٤	
لك كل ما فى السماء والأرض	له مافى السموات ومافى الأرض
١ أخبار ٢٩ : ١١	
السماوات كرسىّ والأرض موطيء قدمىّ	وسع كرســـيّه السموات والأرضَ
أشعيا ٦٦ : ١	

(١) نعِس الرجل : أخذته فترة فى حواسه فقارب النوم .

(٢) وسِن الرجل : أخذه ثقل النوم أو أوله أو النعاس .

آيات من إصحاحات شتى	آيات من سور شتى
أنزل الأعزّاء عن الكراسي ورفع المتّضعين لوقا ١ : ٥٢	وتُعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء آل عمران ٢٦
السماوات تحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه مزمور ١٩ : ١	تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبّح بحمده الإسراء ٤٠
وأقول لكم أيضا إن مرور جمل من ثَقْب إبرة أيسر من أن يدخل غنيٌّ إلى ملكوت الله متى ١٩:٢٤	ولا يدخلون الجنّة حتى يلجَ الجملُ في سَمِّ الخياط الأعراف ٤٠
وأقول لكم لا تحلفوا البتة . . . متى ٥ : ٣٤	لا تجعلوا الله عرضة لأَيمانكم البقرة ٢٢٤
لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى البرقع موضوع على قلبهم ٢ كورنثوس ٣:١٥	وجعلنا على قلوبهم أكِنّة(١) أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا الأنعام ٢٥ الإسراء ٤٦

(١) أكنة : أغطية . جمع كن ، وهو وقاء كل شيء وستره . والحديث هنا في شأن القرآن.

الأخ لن يفدى الإنسان فداء ولا يعطى الله كفّارة عنه

مزمور ١٠٧

واتقّوا يوما لا تَجزى نفسٌ عن نفس شيئا ولا يُقبَل منها عَدْل(١) ولا تنفعها شفاعة ولاهم يُنصَرون .

البقرة ١٢٣

أربعة لا تقول كفى . الهاوية(٢) والرحم العقيم وأرض لا تشبع ماء والنار لا تقول كفى

أمثال ٣٠ : ١٥ - ١٦

يوم نقول لجهنّم هل امتلأت وتقول هل من مزيد

ق ٣٠٠

لن يجوعوا بعدُ ولن يعطشوا بعدُ ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحرّ

رؤيا ٧ : ١٦

متّكئين فيها على الأرائك لا يرَون فيها شمسا ولا زمهريرا

الإنسان ١٣

وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين وسنّا بسنّ ويدا بيد ورجلا برجل وكيّا بكيّ وجرحا بجرح ورضّا برضّ

خروج ٢١: ٢٥

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعينَ بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسن والجروح قِصاص

المائدة ٤٥

(١) العدل : الفداء :

(٢) يقصد القبر .

أليس عصفوران يباعان بفلس . وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم

متى ١٠ : ٢٩

انظروا إلى طيور السماء . إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها

متى ٦ : ٢٦

فقال أسألك إذن يا أبتِ أن ترسله إلى بيت أبى لأن لى خمسة إخوة حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضا إلى موضع العذاب هذا. قال له إبراهيم عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم . فقال لا يا أبى إبراهيم بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون ، فقال له إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدّقون

لوقا ١٦ : ٢٧ — ٣٠

ألم يَروا إلى الطير مسخّرات فى جوّ السماء ما يمسكهن إلا الله

النحل ٧٩

وكأيِّنْ من دابّةٍ لا تحمل رزقها الله يرزقها و إيا كم

العنكبوت ٦٠

وأقسموا بالله جَهدَ أَيمانهم لئن جاءتهم آيةٌ ليؤمنُنّ بها . . . ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شىء قُبُلاً[1] ما كانوا ليؤمنوا ...

الأنعام ١٠٩ — ١١١

(١) قبلا جمع قبيل أى قبيلة والمعنى جماعات .

سفر الخروج ص ٢٠	سورة الأنعام
الوصايا العشر	١٥١ — قل تعالَوا أتلُ ما حرّم ربّكم عليكم
٣ — لا يكن لك آلهة أخرى أمامى	ألا تشركوا به شيئا
١٢ — أكرم أباك وأمك لكى تطول أيّامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك	وبالوالدين إحسانا
١٣ — لا تقتل	ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم
١٤ — لا تزْنِ	ولا تقرَبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
١٣ — لا تقتل	ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله إلا بالحقّ ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون
١٧ — لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا ما مما لقريبك	١٥٢ — ولا تقرَبوا مالَ اليتيم إلا بالتى هى أحسنُ حتى يبلغَ أشُدَّه

وبترتيب ما فى هاتين الآيتين من نواهٍ على النمط التالى :

ا	لا تشركوا به	=	الوصية ١
ب	وبالوالدين إحسانا	=	» ٥
ج	ولا تقتلوا أولادكم من إملاق	=	» ٦
د	» » النفس	=	
ه	ولا تقربوا الفواحش	=	» ٧
و	» » مال اليتيم	=	» ٩ + ١٠
ز	وأوفوا الكيل والميزان بالقسط	=	» ٨
ح	وإذا قلتم فاعدلوا	=	» ٩

نجد أنهما قد أجملتا فى كلمات قليلة وأسلوب محكم جميع الوصايا العشر لم تستثنيا منها غير :

١ — الوصيّة التى تحرّم رسمَ الصورِ ونحت التماثيل ، لأن ذلك يُفهم ضمنا من تحريم الشِّرك بالله . وإنما حرِّمت صناعة التماثيل عند اليهود لأن المرء — فى عُرفهم — قد يلحقهُ الأذى من فعل السحر بوساطة تمثاله .

٢ — الوصيّة التى تحظُر التفوّه باسم الله ، لأن العرب لم يكونوا يعتقدون أن لله اسما سرِّيًّا ولم يكونوا — كاليهود — يرهبون النطق باسم الله .

٣ — الوصيّة التى تدعو إلى تقديس يوم السبت وحفظ حرمته بالإمساك عن العمل ، ذلك :

(ا) أن الكتابيين كانوا على خلاف فى تسمية اليوم الذى يُسبتون فيه فلليهود السبت[1] وللنصارى الأحد .

(ب) وأن القرآن يُبدى نفورا من فكرة أن الله اســتراح فى اليوم السابع .

(ج) هذا إلى أن حياة العرب لا يلائمها الانقطــاع التامّ عن العمل يوما كاملا ، فاختار القرآن يوم الجمعة ليحتشدَ الناس فيه للصلاة الجامعة وأوصى بأن يَخِفَّ القوم عقِبَ أدائها إلى مزاولة أعمالهم منتشرين فى الأرض مبتغين من فضل الله .

---

(١) جعل العبريون عطلتهم فى اليوم السابع من الأسبوع لأن الرقم «٧» كان ذا شأن كبير عندهم ، وقد ذكره الكتاب المقدس فى تضاعيف كلامه مئات المرات . وقد كان العبريون يعتقدون أن هذا اليوم يجلب البركة لمن يتنكب عن العمل فيه . ولعل تلك الوساوس إنما نجمت عن تصوراتهم فيما يتعلق بالكواكب السبعة وأثرها فى مصير أفراد الناس . وهذه التصورات هى كذلك مصدر فكرة الأعمار السبعة وانتهاء العمر الأخير منها بالموت وهو الذى يكون تحت كوكب الشر زحل وقد بنيت قصة الخلق فى التوراة على أساس من الاعتقاد الخطىء بأن كل كوكب من الكواكب السبعة يدل على يوم من أيام الخلق .

ولنا فى هذا القدر غُنْيَة .

*

ومن الميسور لنا أن نعقِدَ طرَفا من هذه الموازنات حتى بين موضعين متشابهين فى قصتَين مختلفتين .

وها نحن أولاء نسوق ثلاثا من هذه الموازنات .

١ — الجنود يرِدون الماء

يطالعنا القرآنُ الكريم ، فى إيجاز غيرِ مُخِلّ ، بطرَف من سيرة شاول (طالوت) ينتظم حوادثَ ثلاثا يسوقها إلينا فى ثلاثٍ من آياته البيِّنات ، وهذه الحوادث — كما ترويها سورة البقرة — قد أغفلها سفر القضاة مع إسهابه فى سيرة شاول ، بل هو يوشك أن يكون قد ناقضها .

١ — تذكر أولى الآيات الثلاث أن بنى إسرائيل أنكروا أن يملّك عَليهم شاول دونَ أحد من سَرَوَاتهم وجهروا بتذمّرهم حتى قارب الأمر أن يُصبِحَ فِتنة ؛ لولا أن انبرى نبيّ الله يهدّىء من ثائرتهم ويقول لهم مؤكدا إن الله هو الذى اجتبى شاول (طالوت) وأقامه ملكا عليهم ، فالإضراب عن مبايعته كفر وعصيان .

« وقال لهم نبيّهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا

قالوا أنَّى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه ولم يؤتَ سَعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » .

البقرة ٢٤٧

والذى ذكره العهد القديم فى هذا المَقام هو أن بنى إسرائيل كانوا قد برِموا بالحكومة الدينيّة واجتمعت كلمتُهم على أن يصطنعوا نظام الحكم الملكىّ فعاب النبىّ صموئيل ذلك عليهم وحاول إرهابهم بإخبارهم أنه لا ملكَ غيرُ الربِّ يهوه ، ولكن جهودَه فى هـذا السبيل ذهبت سُدًى .

« فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا لا بل يكون علينا ملك » .

صموئيل ٨ : ١٩

ونودى بشاول ملكا فرحّب به اليهود جميعا ، وظنّ صموئيل أنه يستطيع أن يُصَيِّرَ منه أداةً مِطواعةً فى يده فلما خاب فأله فى ذلك جعل يندّد به ويؤلّب الناس عليه وعاد يلهج بحديث تمرّد القوم وشقِّهم عصا الطاعة على يهوه وخلعهم إياه من الملك .

« قلتم لى بل يملك علينا ملك . والرب إلهكم ملككم » .

١ صموئيل ١٢ : ١٢

واصطنع صموئيل له عميلا يؤازره فى الكيد للجالس على العرش هو داود بن يسّى .

٢ — وتقول الآية الثانية إن ذلك النبيّ أراد أن يُبطلَ حُجج المعترضين على تمليك شاول وأن يقطع شكوكهم باليقين فأحدث لهم معجزة لاتدع رَيْبا لمستريب ، وما راعهم إلا أن يشاهدوا تابوت الرب طائرا صوْبَهم محمولا على أيدى الملائكة محوطا بأشياء من مخلَّفات النَّبيَّيْن الشقيقَين موسى وهرون ، وهى قطعُ الألواح وعصا موسى وثيابُه وعمامة هرون[1] .

« وقال لهم نبيّهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقيّةٌ مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » .

البقرة ٢٤٨

وقد ضرب العهد القديم صفحا عن هذه الحادثة جملة وتفصيلا ولم

(١) ذلك ما كتبه محمد فريد وجدى فى مؤلفه المصحف المفسر .

يذكر شيئا من أمر الألواح بعد أن حطَمها موسى وقذف بحُطامها على سفح الجبل .

أما التابوت فله قصّة برأسِها فصّلها سفر صموئيل ، ومفادُها أن الكهنة كانوا قبل تمليك شاول بأربعين سنة أو تزيدقد أحسّوا من جنودهم روح التخاذل فى الحرب الناشبة بينهم وبين أهل البلاد الأصلاء ، ولم يجد الكهنة شيئا يقوّون به مريرة[١] المقاتلين خيرا من أن يضعوا تابوت الرب بينهم ، وقد فعلوا ذلك ولكنه لم يُغْنِ عنهم فتيلا فانكسر الإسرائيليون وأخذ أعداؤهم تابوت الرب بين الغنائم ، ومات « عالى » سادنُ الهيكل من حسرة وجزَع فخلفه صموئيلُ على السِّدانة ثم استغلَظ أمره فزعم أنه قد أوتىَ النبوّة .

وأنزل الفِلَسطينيّون يهوه فى هيكل إلههم داجون وهو صنم نصفه الأعلى فى صورة بشرية ونصفه الأسفل كأنه نصف سمكة[٢] . وحدث أن تفشّت الأوبئة ببلاد الفِلَسطينيين فتطيّر القوم بالتابوت فأعادوه إلى بنى إسرائيلَ على عهد داود خليفة شاول فى الحكم .

---

(١) المريرة : العزيمة .

(٢) ولو جاز لنا أن نطلق على هذا الصنم اسما عربيا نصف به خصائصه لأسميناه صنم الحيلان ، فقد ذكرت كتب اللغة ما يأتى :
الحيلان : وحش فى البحر نصفه إنسان والباقى سمك .

ومُجمَل ذلك كلِّه أن التابوت لم يكن فى بلاد اليهود قَطّ طوال حكم النبيّ صموئيل والملك شاول .

٣ — أما الآية الثالثة ، وهى التى تعنينا فيما نحن بصدده ، فهى تخبرنا أن طالوت أهجر(١) هو وجيشه فى يومٍ معمعان(٢) فلما دنَوا من الماء نصح لهم ألا يسرفوا فى الشرب وقال لهم إن الله ممتحن طاعتكم فمَن كان راسخ العقيدة وطيد الإيمان فليبرهن على ذلك بالصيام عن الماء إلا بالقدر الذى تقتضيه الضرورة ولا يكون منه ضرر ، ولكن كثرتهم لم يأذنوا(٣) لقوله فما إن وردوا(٤) الماء حتى أقبلوا يكرَعون(٥) فيه فخرِعَت(٦) جسومُهم وأبدَوا الضجَر من القتال فى ذلك اليوم القائظ .

هذه الحادثة لم يسردها العهد القديم البتةَ ، بيدَ أنه سرد حادثةأخرى

(١) أهجر القوم : ساروا فى الهاجرة وهى شدة الحر لأن الناس يستكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا وتقاطعوا .

(٢) المعمعانَ : شدة الحر ، يقال « جاء فى معمعان الصيف » . يوم معمعان : شديد الحر .

(٣) أذن إليه (بكسر الذال المعجمة) : استمع .

(٤) ورد البعير الماء : بلغه وداناه من غير دخول وقد يحصل دخول فيه وقد لا يحصل . ورد زيد الماء خلاف صدر عنه .

(٥) كرع فى الماء وفى الإناء : مد عنقه نحوه وتناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء ، يقال اكرع فى هذا الإناء نفسا أو نفسين .

(٦) خرع الرجل (بالبناء للمفعول) : استرخى وضعف ولانت مفاصله .

تذكرنا بها ، فحواها أن بنى إسرائيل كانوا قد أساءوا السيرة هِبَّةً[١] من الدهر فغضِب الله عليهم فأدبرت الدنيا عنهم ووقعوا تحت سلطان مَدْيَنَ سبعَ سنينَ دانوا لها فيها بالإمرة وكان طغاتُها يسومونهم سوء العذاب، حتى إذا ما باخ[٢] غضب يهوه بدا له أن يُقيلَ عثرتَهم وينتشلهم من وهدتهم ، فأوحى إلى أحد فتيانهم الأشدّاء ، وهو يُدعى جدْعون ، أن ينهضَ لدحر العدوّ واعدا إياه أن يُمِدّه بالنصر المؤزّر ، سائقا إليه من الآيات البيّنات ما طمأن قلبه ، ومالبث جدعون أن وثب هو ونفرٌ من أعوانه على مَنْسَك[٣] البعل[٤] يَقُضُّه[٥] ويُعمل فى محتوياته يَدَ التحطيم والتخريب ليقيمَ مكانَه مذبحا ليهوه[٦] ثم استنفر[٧] بنى إسرائيل فأنفره[٨] منهم اثنان وثلاثون ألفا . غير أنه عنّ له تدبير يظفره بعدوّه

(١) الهبة : الحقبة من الدهر .

(٢) باخ : أعيا ، يقال « عدا حتى باخ » . باخ الحر والحمى والغضب : سكن وفتر .

(٣) نسك : ذبح . المنسك (بالفتح وبالكسر كمجلس) : موضع تذبح فيه النسيكة أى الذبيحة .

(٤) بعل : هو الإله المعبود فى كثير من المناطق الزراعية .

(٥) قض الحائط : هدمه هدما شديدا .

(٦) يهوه إله الصحارى والجبال ، اتخذه اليهود معبودا لهم .

(٧) استنفر الإمام الرعية : كلفهم أن ينفروا خفافا وثقالا ، يقال إذا استنفرتم فانفروا .

(٨) أنفر القوم فلانا : نصروه وأمدوه .

دون ما حاجة إلى جيش عرمرم يخوض به حومة[١] الوغى[٢] . وقد أوحَى إليه يهوه أنه مقاتل معه وأنهَى إليه أنه لو نزل معه إلى المعركة[٣] بهذا الجمّ من المقاتِلة وظفِروا بعدوّهم لداخلهم الغرورُ بعد النصر وأُلقِيَ فى رُوعهم أنهم إنما كان انتصارهم عن كثرة عَدد ووفرة عُدد لا بما منّ ربُّهم عليهم به من المعانة والغَوث[٤] .

« وقال الرب لجدعون إن الشعب الذى معك كثير علىّ لأدفع المديانيين بيدهم لئلا يفتخر علىّ إسرائيل قائلا يدى خلّصتنى » .

قضاة ٧ : ٢

وإذن فليسرِّحْ جدعون هذا الجحفلَ اللجِب[٥] لا يستبقى منه غير قلّة ممّن يتّصفون بقوّة المُنّة[٦] وعظم الجَلَد ، فأما كيف يبلُوهم ويخبُرُهم ليُحسنَ انتقاء أقدرهم على الاصطلاء بجاحم[٧] الحرب ، فذلك بأن

(١) حام الطائر حول الماء : دار به . حومة القتال : موضعه لأن الأقران يحومون حوله ، يقال « خاض حومة القتال » .
(٢) الوغى : الصوت والجلبة ، والحرب لما فيه من الصوت والجلبة .
(٣) المعركة : موضع العراك والقتال .
(٤) وهى ــ كما يقول المثل ــ شنشنة أعرفها من أخزم فقد جرت تقاليد العبريين بأن يهولوا من شأن جيوش العدو ويهوّنوا من عدد جيشهم لينسبوا الفضل إلى يهوه .
(٥) جيش لجب : أى ذو جلبة وكثرة .
(٦) المنة (بالضم) : القوة ، يقال « ذهب السفر بمنته » .
(٧) الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال و ــ من الحرب : معظمها وشدة القتل فى معركتها .

يسير بالجمع نحو الماء ويرقُب كيف يستقون ، فأما أولئك الذين ماإن ترى عيونُهم الماء حتى ينكبوا على وجوههم ولا ينفكوا يعبّون منه إلى أن يتضلّعوا[١] فعليه أن ينبذهم عنه مستبقيا تحت إمرته أولئك الذين لا يتمادون فى الشرب مكتفين ببضع جُرَع من الماء .

*

وبما أن الحادثتين ، مع اختلافهما فى الزمان والمكان والأشخاص ، تتّسع بينهما دائرة المشابهات فقد رأينا أن نعقد الموازنة اللفظية بينهما .

(١) تضلع الرجل : امتلأ شبعا وريا ومنه «كان يتضلع من زمزم» .

سفر القضاة ص ٧

٥ — وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه وحده، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب.

٦ — وكان عدد الذين ولغوا بيدهم إلى فمهم ثلاث مئة رجل: وأما باقي الشعب جميعاً فجثوا على ركبهم لشرب الماء.

٧ — فقال الرب لجدعون بالثلاث مئة رجل الذين ولغوا أخلصكم وأدفع المديانيين ليدك. وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه.

سورة البقرة ٢٤٩

فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوز هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين.

٢ — زواج موسى

لقد آوى الشعب المصرى الكريم موسى وليدا ورعاه فى المراحلِ الأولى من حياته حتى بلغ الأربعين ، ولكن موسى ظلّ مشبوب الحنين إلى بنى جلدته يُكِنّ الحقد مضطغنا على سادتهم المصريين ، فلما واتته الفرصة قتل مصريا كان يشتجر هو ورجل من بنى إسرائيل . ولما تسامع الناس بالنبأ لم يبق أمامه مناص من الفرار ، وما وَنَى أن لوى عِنان مطيَّته صَوبَ مَدْيَنَ حيث أعرس بزوجته الأولى[1] . ولم يكن قد أوتىَ النبوّةَ ولا شَأَن[2] بعدُ ، ولهذا — أظنّ — وردت قصّة زواجه فى العهد القديم بسيطة لا إسهاب فيها ولا إطناب ، فهى تقول .

« ١٦ — وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن .

---

(١) زعم فيلون أن صفورة كانت حبلى قبل أن يبنى بها موسى وأن ذلك يرجع إلى علاقتها بأحد الآلهة لا بأحد من البشر ، وهو كلام بين الخطل .
أما زوجة موسى الأخرى فهى امرأة حبشية لا تدرى كيف عثر عليها فى سيناء .
« وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها . لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية » .
(عدد ١٢ : ١)

(٢) شأن فلان بعدك : صار له شأن .

١٧ — فأتى الرعاة وطردوهنّ . فنهض موسى وأنجدهن
وسقى غنمهن .
١٨ — فلما أتين إلى رعوئيل[1] أبيهن قال ما بالكن
أسرعتن فى المجىء اليوم .
١٩ — فقلن رجل مصرىّ أنقذنا من أيدى الرعاة وإنه
استقى لنا أيضا وسقى الغنم .
٢٠ — فقال لبناته وأين هو . لماذا تركتن الرجل ادعونه
ليأكل طعاما .
٢١ — فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى
موسى صفورة ابنته .
٢٢ — فولدت ابنا فدعا اسمه جرشوم . لأنه قال كنت
نزيلا فى أرض غريبة » .

خروج ٢ : ١٦ — ٢٢

وهذه القصّة تختلف عمّا ساقه القرآن بهذا الصدد فى ثلاثة مواضع :

١ — عدد بنات الكاهن المدينىّ اللواتى سقى لهن موسى أغنام أبيهن فهى فى قصّة التوراة سبع وفى القرآن اثنتان .

(١) ومن عجب أن اسمه قد تبدل فأصبح يثرون .
« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان »
(خروج ٣ : ١)

٢ — زفاف الكاهنِ ابنتَه إلى موسى دون أن يقاوله[1] في الصداق ودون أن يفرِضَ عليه أن يخدُمَه سنينا معلومة .

٣ — المدّة التي لبثها موسى في مديَنَ والسنّ التي بُعث فيها نبيًا .

إن الآية ٢٣ من سورة القَصص تقول إنه ما إن ورد ماء مدين حتى وجد امرأتين ، وما هو إلا أن واثق أباهما على أن يزوجه إحداهما لقاء استئجاره له ثمانِي حِجج أو عشرا ، وتقول الآية التاسعة والعشرون من الصورة نفسها إنه أنهى خدمته عند انتهاء الأجل للضروب له ، ثم سار بأهله فتلقّى الوحي وكلّمه الربّ وما وَنَى أن شدّ رحاله إلى مصر ليضربها ضرباته العشر .

ونخلُص مما تقدّم بأن إقامته في مدين لم تزد على ثمانِي سنوات أو عشر .

أما التوراة فهي تنبئنا أنه :

« كان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات» .

تثنية ٣٤ : ٧

وأن حياته تنتظم ثلاث مراحلَ متساوية ، كل منها ٤٠ عاما .

---

(١) قاوله في أمره : فاوضه وجادله .

المرحلة الأولى منها : هى التى نعِم فيها بالحياة فى قصر فرعون ، وقد انتهت بقتله أحد الأهلين ، وترتّب على ذلك فِراره من مصر .

المرحلة الثانية : هى التى أقامها لائذا بمدين ، وقد انتهت بإيتائه الرسالة ورجوعه إلى مصر لإفشاء الخراب بين أرجائها وإشاعة الرعب فى ربوعها والخروج باليهود منها فى أثناء هذه الغُمّة .

المرحلة الثالثة : هى تلك التى ما برح فيها يضرب فى شِعاب الصحراء ضالاّ مُضِلاّ فى بوادى سينا ، وقد انتهت بإغضابه ربَّه عليه فتوفّاه دون أن يُتيح له أن يطأ الأرض التى وَعد بها المتّقين من قومه .

وثم مشابهُ بين ما أورده القرآن من تفصيلات هـــذه القصة وما ذكرته التوراة من قصّة زواج يعقوب بزوجته الأولى (١) .

(١) وقد أعرس بها مى وشقيقتها فى أسبوع واحد .

سفر التكوين ص ٢٩

٩ — فكان لما أبصر يعقوب راحيل بنت لابان خاله وغنم لابان خاله أن يعقوب تقدّم ودحرج الحجر عن فم البئر وسقى غنم لابان خاله .

١٥ — ثم قال لابان ليعقوب ألأنك أخي تخدمني مجانا . أخبرني ما أجرتك . وكان للابان ابنتان .

سورة القَصص

٢٣ — ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمّة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبُكما قالتا لانسقي حتى يُصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير .

٢٤ — فسقى لهما ثم تولى إلى الظلّ فقال ربّ إني لِما أنزلت إليّ من خير فقير .

٢٥ — فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيَك أجر ماسقيتَ لنا فلما جاءه وقصّ عليه القَصَص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين .

١٨ — وأحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى .

١٩ — فقال لا بان أن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها لرجل آخر . أقم عندى .

٢٠ — فخدم يعقوب براحيل سبع سنين ...

٢٦ — قالت إحداهما يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوىّ الأمين .

٢٧ — قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتىّ هاتين على أن تأجرنى ثمانِىَ حجج فإن أتممتَ عشرا فمن عِندك وما أريد أن أشقّ شقّ عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين .

٢٨ — قال ذلك بينى وبينك أيمّا الأجلين قضيت فلا عدوان علىّ والله على ما نقول وكيل .

٢٩ — فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ...

٣ ـــ إلقاء المؤمنين فى النار

عاش إبرهيم فى القرن العشرين ق . م فى زمان ومكان شاعت فيهما عبادة الأوثان ، وقد أشار القرآن إشارة عابرة إلى حادثة وقعت له ، مُفادها :

١ ـــ أن ملك تلك البلاد حاول أن يَثْنِىَ إبرهيمَ عن عبادة الإله الواحد فأشاح إبرهيمُ عنه بوجهه وأعرض عما دعاه إليه من عبادة آلهته .

٢ ـــ فأحفظ امتناعهُ منه وتصلّبه فى معتقده ذلك الطاغوت ،فتقدّم إلى الحَشَم بأن يُثقبوا[١] نارا حِراقا[٢] وأمر به فألقوه فيها .

٣ ـــ لولا أن العناية الإلهية شمِلت الرجلَ فإذا هو كمن يكتسى بحلّة من الحرير الصخرىّ (الأسبستوس) يخوض بها الحريق المتقِد فتلفَحَهُ الضَرَمَةُ[٣] بمارج[٤] من نار فلا يحسُّ لها ألما أو يمَسُّه منها أذًى ،وجاءه ملَك مرسَل من الله فقعد بجواره فى النار .

---

(١) ثقبت النار : اتقدت . أثقب النار : أوقدها .

(٢) نار حراق : لا تبقى شيئا .

(٣) الضرم : الحطب يرمى فى النار يقال : «أوقد الضرمة» ،ويقال مابالدار نافخ ضرمة أى أحد . وتنفخ فى غير ضرم . مثل يضرب لمن يعالج ما لا فائدة فى علاجه .

(٤) المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد ، ومنه « وخلق الجان من مارج من نار » أى من نار بلا دخان .

٤ — وشُدِه الطاغية مما يشهد .

٥ — وإذا هو يرى ابرهيم يخرج من النار صحيحا لم ينله أذى .

« قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبرهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين . ونجّيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين » .

الأنبياء ٦٨ — ٧١

وقد سرد العهد القديم قصةً مشابهة فحواها أن نبوخذنصّر (بختنصّر) ملك بابل[1] وَغِر صدرُه على ثلاثة من اليهود أصرّوا على المضىّ فى عبادة يهوه دون آلهة الكلدانيين فلما ألقَوا بهم فى النار لم تُحرقهم وبعث الله إليهم ملَكا من ملائكته شاهده الملِك معهم .

« ٢٤ — حينئذ تحيّر نبوخذنصَّر الملك وقام مسرعا فأجاب وقال لمشيريه ألم نُلقِ ثلاثة رجال موثقين فى وسط النار فأجابوا وقالوا للملك صحيح أيها الملك .

---

(١) انقض نبوخذ نصر فى سنة ٥٨٦ ق . م على مملكة يهوذا وسبي ألوفاً من أهلها سخرهم فى العمل ببلاده .

٢٥ — أجاب وقال ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشّون في وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة .

٢٦ — ثم اقترب نبوخذ نصّر إلى باب أتون النار المتّقدة وأجاب فقال يا شدرخ وميشخ وعبدنغو يا عبيد الله العليّ اخرجوا وتعالوا . فخرج شدرخ وميشخ وعبد نغو من وسط النار».

دانيال ٣ : ٢٤ — ٢٦

أخطاء واضحة

فى الترجمة العربية للكتاب المقدّس

ولسنا نشتطّ فنزرى على القساوسة الذين نقلوا الكتاب المقدّس إلى العربيّة أنهم لم يرتفعوا بأسلوبه إلى مستوى القرآن ، ولكنا كنا نودّ لهم — وهم على بصر بما هم عليه من قلّة الكفاية — ألا يقعدَ بهم التعصّبُ والغرور عن أن يستعينوا أساطينَ اللغة البصراءَ بها أيًّا كانت أعراقهم وديانانهم ليصوّبوا ما يَشيع فى ترجمتهم من أخطاء وليصقُلوا عبارتها ويجوِّدوا أسلوبها فلا يغيب عن قارئها وهو يتلوها أنه يقرأ لغة عربية فصيحة راقية الأسلوب ويتوهّم أنه يقرأ لغة عامّيّة دارجة [1] . لقد كنا نطمع أن يتنزّه كتاب مقدّس كائنا ما كان عن أن يطالع أهله بمثل:

« وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله فى اليوم

---

(١) مثل :

« فضحكوا عليه عارفين أنها ماتت » .

(لوقا ٨ : ٥٣)

« وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة محفل مقدس »

(لاويون ٢٣ : ٣)

السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » .

تكوين ٢ : ٢ — ٣

« وحفر جميع المصريين حوالى النهر لأجل ماء ليشربوا » .

خروج ٧ : ٢٣

« شيء ثقيل جدا لم يكن قبله جراد هكذا مثله » .

خروج ١٠ : ١٤

« إذا انفرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير لينتذر للرب فعن الخمر والمسكر يفترز » :

عدد ٦ : ١ ـ ٢

« كل من مسّ ميتا ميتة إنسان قد مات ولم يتطهّر ينجّس مسكن الرب » .

عدد ١٩ : ١٣

« لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنّم أكثر منكم مضاعفا » .

متى ٢٣ : ١٥

« هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل » .

يوحنا ٨ : ٤

ولكن الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية التى تحفل بها الترجمة العربية ، بله ركاكة الأسلوب ، ليست هى العيبَ الأوحد فى الترجمة العربية ولا هى عيبُها الأوّل ، بل إن أظهر ما تُعاب به هذه الترجمة هو أنها لم تُنقل عن المتون الأصلية نقلا أمينا تَبْرأ به من جسام الأخطاء .

١ — ومن هذه الأخطاء ما يرجع إلى أن المترجمين لم يتوخَّوا الدقّةَ فى الترجمة ، كأنما انتابهم الملل فعمَدوا إلى الاختصار والاقتضاب . ومن أمثلة ذلك :

(١) « وخرجت وراءه حصّة من عند الملك » .

٢ صموئيل ١١ : ٨

والصواب : حصة (أو وجبة أو نصيب) من اللحم .

(ب) وتزوّج الملك داود نساء كثيرات ورُزق منهن ذرّيةً فراقت ابنتَه ثامار أخاها غير الشقيق أمنون فلم يتورّع عن افتراعها ، غير أنه لم يلبث أن كرهها واشمأزّ منها ، ولهذا

« دعا غلامه الذى كان يخدمه وقال اطرد هذه عنى خارجا واقفل الباب وراءها » .

١ صموئيل ١٣ : ١٧

والصواب : اطرد هذه المرأة .

(ج) وعندما آذن بنو إسرائيل بالرحيل من مصر أوصاهم موسى بأن

« تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة

وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون

المصريين » .

خروج ٣ : ٢٢

والصواب : حليا لا أمتعة .

٢ — ومنها ما يرجع إلى تأثر المترجمين بمعلوماتهم الخاصّة خطأً كانت أو صوابا .

(ا) « وأما المديانيون فباعوه فى مصر افوطيفار خصىّ

فرعون رئيس الشرطة » .

تكوين ٣٧ : ٣٦

وليس فى الأصل كلمة « خصِىّ » ولست أدرى كيف دار فى خَلَدهم أن رئيس الشرطة المصرىّ كان خصيّا ؟ أو لم يكن شافعا له فى دحض هذه الفِرْية أنه كان زوجَ أجمل سيدة فى البلاد ؟ ولكن ما الحيلة وصاحبُ هذا السِّفر يرى أن حاشية القصر كانت كلها من الخِصيان .

« فسخط فرعون على خَصِيَّيْه رئيس السقاة ورئيس الخبازين » .

تكوين ٤٠ : ٢

(ب) « فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما » .

تكوين ١١ : ٥

« وليس فى الأصل « بنو آدم » بل « بنو البشر » .

(ج) « أطيعوا مرشديكم » .

إلى العبرانيين ١٣ : ١٧

والصواب : أطيعوا حكامكم (أو أولى الأمر منكم) .

٣ — ومنها ما يرجع إلى أن المترجمين لم يراعوا أن اللغة العربية تحوى صيغة لا نظيرَ لها فى سائر اللغات وهى صيغة المثنَّى ، فينبغى عند الترجمة إلى العربية ملاحظة ذلك .

« وصنع الرب لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما » .

تكوين ٣ : ٢١

والصواب أنه مَنَّ عليهما بقميصين اثنين يستران بهما العورة ،

ولو أنه حباها من القُمصان بما يكفيهما عمرَهما الطويل لاحتاج الأمر إلى صِوانٍ للثياب ولنجمت لهما مشكلة حمله معهما عند طردهما من الجنّة .

(ب) « وكان إذ خافت القابلتان الله أنه صنع لهما بيوتا » .

خروج ١ : ٢١

والصواب : بيتين .

(ج) « وبنو زَربابل مشلام وحننيا وشلومية أختهم » .

١ أخبار ٣ : ١٩

والصواب أختهما .

*

وكان من فساد الترجمة أن أصبحت بعض الجمل عسيرة الفهم ، وإليكم بعضَ أمثلة منها :

(١) « ١ — إذا أخذ رجل امرأة وتزوّج بها ، فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيبَ شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته .

٢ — ومتى خرجت من بيته وصارت لرجل آخر » .

فماذا ؟ إن الكلام هنا يبدو وكأنه له بقيّة ، وليس الأصل كذلك .

إليكم الترجمةَ الصائبة :

١ — إذا اتّخذ رجل امرأة زوجة له وبنى بها ، ثم حدث أن فقدت الُحظوة فى عينيه من جريرة عثوره فيها على شىء من الدنس ، فليكتب ورقة بطلاقها يعطيها إياها ثم يخرجها من بيته .

٢ — ومتى فصلت من بيته كان لها أن تغدو (زوجة) لغيره .

(ب) فى قصة يوسف أن إخوته الذين ضيّعوه فى صباه وقفوا فى حضرته وهو وزير فى مصر وجعلوا يتذاكرون جريمتهم القديمة بين يديه بلسانهم العبرىّ دون مراعاة أن ذلك لا يلائم المَقام ودون التفطن إلى أن هذا المتربّع على دَسْت الوزارة المصرية هو أخوهم وأنه يفهم ما يتجاذبون أطرافه من حديث .

« وهم لم يعلموا أن يوسف فاهم لأن الترجمان كان بينهم » .
تكوين ٤٢ : ٢٣

والكلام يفتقر إلى الوضوح ، والترجمة الصواب هى :
لأنه سبق أن تحدّث إليهم مستعينا بمترجم .

(ج) وعاب الكتبة والفرّيسيون على يسوع ما جرى عليه تلاميذُه من انتهاك تقاليد الشيوخ بإغفالهم غسلَ أيديهم قبل الأكل ، فدفع ذلك المسيحَ إلى أن يحملَ عليهم ويندّد بمخازيهم .

« ٣ — فأجاب وقال لهم وأنتم أيضا لماذا تتعدّون وصيّة الله بسبب تقليدكم .

٤ — فإن الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمّك . ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا .

٥ — وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمّه قربان هو الذى تنتفع به منى فلا يكرم أباه أو أمّه » .

متى ١٥ : ٣ — ٥

والكلام واضح الاضطراب ، والآية الخامسة غير مستقيمة وإليكم الترجمة السليمة :

٣ — إذا كنا نحن قد اعتدينا على ناموس من نواميس الشيوخ فإنكم أنتم قد انتهكتم شريعة الله .

٤ — فقد قال الله أكرم أباك وأمك . ومن شتم أبا أو أما فليكن الموت له جزاء .

٥ — ولكنكم أنتم تبتزّون من وسائل معيشة الابن ذلك القدرَ الذى ينبغى عليه أن يُفرده لمعونة أبويه الهرِمَين ، وتذهبون بأسلابكم هذه إلى الكنيس زاعمين أنها تُعطى لله .

(د) وكان زكّا رئيسُ العشّارين على حظّ كبير من الثراء ، ولما علم أن المسيح وشيك القدوم اعتلى شجرةَ جُمَّيز لتُتاح له مشاهدتُه إذ أنه كان قميئا[1] ؛ وضرب يسوع بطرْفه إلى أعلى شجرة الجميز وطلب إلى زكا أن ينزل لأنه قد طابت نفسه بالمكث هنيهة فى منزله ، فاستخف السرورُ رئيس العشّارين .

« وقال للربّ . ها أنا ياربّ أعطى نصف أموالى للمساكين وإن كنتُ قد وشيت بأحد أردّ أربعة أضعاف » .

لوقا ١٩ : ٨

أربعة أضعاف ماذا ؟

الترجمة الصحيحة هى التى تجيب عن هذا السؤال ، وهى :

وإن كنتُ قد ابتززتُ من امرىء شيئا ما بأن أسندت إليه تهمةً زائفة فإنى أردّ أربعة أضعاف ما أخذت منه .

(هـ) ولما قتل قايين (قابيل) أخاه هابيل أتبعه الله لعنةً تُنزل به ذلّ الهرب ومهانةَ التشرّد وتجشّمه مشقةَ العمل غير المثمر وتجعله عُرضةً لأن يفتِكَ به من يلقاه كائنا من كان .

(١) القمىء : الذليل ، والصغير ، والحقير .

« فقال قايين للرب . ذنبي أعظم من أن يُحتمل » .

تـكوين ٤ : ١٣

وصَواب الترجمة هو :

إن عقوبتى هذه أقسى من أن أحتملها .

فهو لا يعرب بهذا القول عن ندمه على ما فرط منه فى حقّ أخيه ، بل هو قد تعاظمته العقوبة :

(و) رَجعل بَلْعام[1] يتحدّث إلى أتانه .

(١) هو نبي بنى مؤاب ، وقد عرف فى العربية باسم لقمان ولعل هذا جاء من ترجمة اسمه بلفظ مرادف (بلع = لقم) . وكانت له حكم يرسلها فيما يشبه الشعر ومن ثم لقب بالحـكيم .

وعند ما غزا موسى بلاد الأموريين واستأصل شأفة أهلها بالسيف والنـار ثم انثنى يبث عيونه فى الأقاليم المتاخمة ، أوجس خيفة بالاق ملك بنى مؤاب ، وعلم أن الشجاعة وحدها لا تغنى عنه شيئا فحرى به أن يلتمس مما وراء الطبيعة قوة يشد بها أزره ، وما عتم أن أرسل إلى بلعام يهيب به أن يقدم إليه ليشهد ألفاف المغيرين ويعطرهم بلعناته الفعالة التى لا تخيب ، ووعد نبيه بأن يجزل له العطاء . وسارع النبى إلى الاضطلاع بهذا المهم ، بيد أن الله خشى على شعبه المختـار وطأة هذه اللعنات الباطشة فأرسل ملـكا من ملائكته يقطع على نبيه الطريق ، وفتح الله عينى الأتان فأبصرت ملك الله شاهرا سيفه فربضت تحت بلعام فلما ضربها بقضيب كان فى يده فتح الله فم الأتان ، ولـكنها لم تنهق بل تـكلمت باللهجة المؤابية الفصحى ، تعاتب صاحبها (كما فعل حصان أشيل فى الأساطير الإغريقية) .

وواصل بلعام مسيرته حتى شاهد الإسرائيليين ولـكنه أبى أن يلعنهم بل باركهم ودعا لهم .

فـكيف جازى اليهود بلعام .

لقد جحدوا صنيعه كما فعلوا بأهل مصر ومدين وهما الدولتان اللتان أقام موسى =

« فقالت الأتان لبلعام ألست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم » .

عدد ٢٢ : ٣٠

ولو صحّ هذا الكلام لوجب أن تكون الأتان أكبر سناً من بلعام على غير ما اعتادت الحمير أن تعيش . ثم إنه ليس فى الجملة ما يدلّ على جنس الحمار أذكر هو أم أنثى .

= فى كل منهما أربعين عاما . لقد تركه ملك الرب حيا ولكن جزار الرب (يشوع) وقص عنقه .

« وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف . وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم . وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى والعازار الكاهن ... فسخط موسى على وكلاء الجيش ... وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية . إن هؤلاء كن لبنى إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب ... فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها » .

(عدد ٣١ : ٨ ـ ١٧)

وقد قال اليهود إن بلعام نبى كاذب وعدو لمملكة الرب ، وقد انتقل هذا الحسبان منهم إلى مسيحيي القرن الأول :

« قد تركوا الطريق المستقيم فضلوا تابعين طريق بلعام بن بعور الذى أحب أجرة الإثم . ولكنه حصل على توبيخ تعديه إذ منع حماقة النبى حمار أعجم ناطقا بصوت إنسان » .

(٢ رسالة بطرس ٢ : ١٥ ـ ١٦)

(٢) الأتان أنثى الحمار .

والترجمة الصواب هى التى تردّ الحقّ إلى نِصابه[1] ، وهى :

فقال الحمار لبلعام ألست أنا حمارك الذى ما فتئتَ تمتطيه منذ أن كنتُ لك إلى اليوم .

٤ ـــ ومن عيوب هذه الترجمة أن الوَحدة فيها مفقودة فيما يتصل بترجمة الأسماء التى تتكرّر ورودها ، إذ أن كلا ممن شاركوا فى الترجمة قد استقلّ بترجمة سفرٍ أو بعضِ سفرٍ دون أن تكون هناك جماعة تشرف على الأجزاء المترجمة وتعمل على توحيد ما يتردّد فيها من مصطلحات .

(١) إليكم ـ مثلا ـ الكلمةَ التى تقابلها فى الإنجليزية كلمة dragons ،

فقد وضعوا مقابلها فى العربية الكلمات الآتية :

(١) « تنانين »[2] وهى الترجمة الصائبة .

« سبّحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين » .

مزمور ١٤٨

---

(١) النصاب : الأصل و ـ يد السكين أى مقبضها وهو أصله الذى فيه ركب .

(٢) وقد استعملت كلمة « التنانين » خطأ بمعنى الحيتان .

« فخلق الله التنانين العظام » .

(تكوين ١ : ٢١)

ولهذا فإن صاحب أقرب الموارد ، وهو يسوعى ، عرف هذه الكلمة بقوله « التنين : الحوت و ـ الحية العظيمة » .

(٢) « بنات آوى » .

« واضطراب عظيم من أرض الشمال لجعل مدن يهوذا
مأوى بنات آوى » .

إرميا ١ : ٢٢

(٣) « ذئاب »

« وتصبح . . . الذئاب فى هيا كل التنعم » .

أشعيا ١٣ . ٢٢

(٤) « ثعابين »

« خمرهم حُمَةُ الثعابين وسمّ الأصلال القاتل » .

تثنية ٣٢ : ٣٣

(ب) وكلمة « روح » العبرية وردت فى الترجمة العربية بمعنى :

(١) « رُوح »

« وروح الله يرفّ على وجه المياه » .

تكوين ١ : ٢

(٢) « ريح »

« فقال لى . . . هلمّ يا روح من الرياح الأربع وهبّ على
هؤلاء القتلى ليحيوا » .

حزقيال ٣٧ : ٩

(ج) والاسم الذى يقابله فى الإنجليزية إنُك Enoch نُقل إلى العربية باسم .

(١) « حنوك »

« وعرَف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك » .

تكوين ٤ : ١٧

(٢) « أخنوخ »

« وسار أخنوخ[١] مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » .

تكوين ٥ : ٢٤

(د) والاسم الذى يقابله فى الإنجليزية جوشوا Goshua نقل إلى العربية باسم .

(١) « يشوع »

« وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلّم يشوع[٢] بن نون خادم موسى قائلا »

يشوع ١ : ١

---

(١) وهو المعروف عند العرب باسم إدريس . ومعنى الجملة أنه رفع إلى السماء حيا .

(٢) وكان اسمه فى الأصل هوشع Oshea فغير له موسى اسمه .

« ودعا موسى هوشع بن نون يشوع » .

(عدد ١٣ : ١٦)

ويعرفه العرب باسم يوشع ومنه قول شوقى :

قفى يا أخت يوشع خبرينا أحاديث القرون الغابرينا

(هـ) كما أن اسم « مَرْيَم » ورد فى الترجمة العربية مقابل اسم :

(١) « مِرْيَم » ابنة عَمرام (عِمران) وأخت هرون وموسى .

« فولدت لعَمرام هرون وموسى ومريم أختهما » .

عدد ٢٦ : ٥٩

(٢) « مارى »

« لما كانت مريم أمُّه مخطوبة ليوسف » .

متى ١ : ١٨

(و) واسم « يعقوب » وَقد ورد فى الترجمة العربية مقابل اسم

(١) « جاكوب »

« إلا أن اسمه دُعى يعقوب فقد تعقَّبنى الآن مرتين » .

تكوين ٢٧ : ٣٦

(٢) « جيمس »

ومن ذلك أن الناس دَهِشوا لِما يتفوّه به يسوع من منطق صائب وحكمة بالغة فقالوا :

« أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان . أو ليست أخَواته ههنا عندنا . فكانوا يعثرون به » .

مرقس ٦ : ٣

(ز) ولم يسلم لقب الله ، وهو فى الانجليزية « لورد » ، من هذه البلبلة فقد ترجموه بكلمة :

(١) سيّد
« فقال موسى للرب استمع أيها السيد »[١]
(٢) رب

خروج ٤٠ : ١٠

تلك أثارة[٢] من الأغاليط[٣] التى تزخر بها النسخة العربية للكتاب المقدّس وكلها ينبع من رُوح اللهْوَجة[٤] وقلة الاكتراث ، بيد أن هنالك أغلاطا أخرى ما أحسبها غابت عن ذكاء السادة المترجمين ولكنهم أثبتوها على عَمْد :

إما ابتغاء تهذيب الأسلوب :

« ٢ — ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعانىّ اسمه شوع . فأخذها ودخل عليها .

٣ — فحبلت وولدت ابنا ودعت اسمه عيراً .

---

(١) and Moses said unto the Lord, Omy Lord

(٢) أثره : تبع أثر . أثره الحديث : نقله ورواه عن غيره . الأثارة : بقية الشيء ، وفى الآية الكريمة « ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » .

« الأحقاف ٤ »

(٣) الأغلوطة : ما يغلط فيه . أو يغالط به من الكلام المبهم .

(٤) لهوج الأمر : لم يحكمه ولم يبرمه و ـ اللحم ـ : لم ينعم شيه .

٤ — ثم حبلت أيضا وولدت ابنا ودعت اسمه أونان .

٥ — ثم عادت فولدت أيضا ابنا ودعت اسمه شيله ... » :

تكوين ٣٨ : ٢ — ٥

وصواب ترجمة الآية الخامسة :

ثم عادت فحبلت وولدت . . .

بيد أن السادة المترجمين استثقلوا هذا التكرار فى ذكر الحبل ، ومن البديه أن امرأة يهوذا تلك لم تلد إلا بعد حمل وأنها لم تحمل إلا بعد إعراس . وقد كان من الممكن التعبير عن فحوى هذه الآيات الأربع بجملة واحدة تقول :

فتزوجها ورُزق منها ثلاثة بنين أسماهم (أو أسمتهم أمُّهم) عيراً وأونان وشيله .

وإما ابتغاء تهذيب المعنى ، كما نرى فى وصف الضربة الثالثة من الضَرَبات المتتالية التى كالها موسى للشعب المصرى .

(١) « فصار البعوض على الناس والبهائم . كل تراب الأرض صار بعوضا فى جميع أرض مصر » .

خروج ٨ : ١٧

وفى الحق أن البعوض برىء من هذه الضربة المثيرة للغثيان فإن

القوم لم يُبعَضوا بل قَمِلت رءوسهم وثيابُهم ، ولكن المترجين استبشعوا تلك الحشرة واستبدلوا بها البعوض وهو أقل بشاعة : وأكبر الظن أن هذه الفكرة إنما طرأت على أذهانهم من اللفظ الذى استعمله القرآن فى هذا المقام وهو « القُمّل »(١) .

(ب) « وكان الربّ مع يهوذا فملك الجبل ، ولكن لم يُطرَد سكانُ الوادى لأن لهم مركبات من حديد » .

قضاة ١ : ١٩

وصواب الترجمة :

بيد أنه لم يقوَ على طرد سكان الوادى .

ولكن المترجمين آثروا أن يبنوا الفعل « يطرد » للمجهول حتى لا يُسندوا إلى ربّهم العجزَ عن هَزْم سكان الوادى وإجلائهم عن واديهم .

(ج) وأعاد الفِلَسطينيّون تابوتَ الرب إلى الإسرائيليّين بعد ما

---

(١) كان العرب يطلقون هذا اللفظ على أنواع شتى من الحشرات الكريهة المؤذية ، فلم يخصوه بحشرة واضحة المعالم .

ذكر الشيخ حسنين مخلوف فى كتابه « غريب القرن » أنه هو القمل ، ولكن ، بعض المعاجم وكتب التفسير ذهبت الى أن القمّل (بالتشديد) غير القمل (بالسكون) ولست أوافقهم على رأيهم فقد تحدثت التوراة بصريح القول عن القمل (بالسكون) .

غنِموه منهم فى إحدى المعارك ورأى داود أن يُعرِبَ عن ابتهاجه بعودة التابوت إلى حاضرة مُلكه فنضّى[1] عنه ثيابه وجعل يرقص فى الطرُقات بطريقة أثارت استياء زوجته ميكال ابنة مسيح الله شاول[2] فأنّبته لهذا المسلك فأغلظ لها فى الردّ .

(١) نضى ثوبه عنه : خلعه ، ومنه قول امرىء القيس :

جئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الا لبسة المتفضل

أى أنه طرقها وقد تهيأت للنوم فلم يكن عليها من الثيـاب إلا ما يلبس عند النوم .

(٢) أول ملك على اليهود . وفرت عليه صدور الـكهنة لأنه قبض على صولجـان الملك بعد أن كانت أعنة الحـكم فى أيديهم ، فأغروا به وزعموا له أن الرب كاشفهم بأنه سخط عليه لتقصيره فى الإيقاع بالأسرى . وما زالوا به حتى ألقوا فى روعه أن الجان قد ركبته ، ورتبوا على ذلك أنه لا محيص عن أن يهدىء من جأشها بالاستماع إلى دقات (الزار) ودبروا له الفتى داود ليزمر بالقصبة بين يديه ، وقرت به عين الملك فوعده أن يزوجه ابنته الـكبرى « ميرب » ، ثم بدا له من الفتى ما رابه فعدل عن الإصهار إليه وزف ابنته إلى عدريئيل ؟

وكان فى وقت إعطاء ميرب ابنة شاول لداود أنها أعطيت لعدريئيل المحولى امرأة » .

(١ صموئيل ١٨ : ١٩)

وألحف داود على شاول ولم يزل به حتى رضى أن يزوجه ابنته الصغرى « ميكال » .

ولم تدم جمة ما بين شاول وداود ، فقد أدرك الملك أن صهره لا يضمر الولاء له بل للـكهنة واستبان له كيده ومحاله فبنى عزمه على قتله ، فهرب داود من وجهه .

=

« ٢١ — فقال داود لميكال إنما أمام الربّ الذى اختارنى دون أبيكِ ودون كل بيته ليقيمنى رئيسا على شعب إسرائيل . فلعبت أمام الرب .

٢٢ — وإنى أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعا فى عينَىْ نفسى . وأما عند الإماء التى ذكرت فأتمجّد .

٢٣ — ولم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها » .

٢ صموئيل ٦ : ٢٠ — ٢٣

إن الآية ٢٣ تبدو مبتوتةَ الصلة بما قبلها وذلك لأن المترجمين حذفوا من أوّلها كلمة « لذلك » كى يخففوا من هُجنة المعنى . ومعنى الآية أن الملِكَ حَنِق على امرأته فلم يكتفِ بلعن أبيها بل زاد على ذلك أنْ هجرَها فى المضجَع ، وبذلك حكم عليها بالعُقْم الأبدىّ وخلّفها منبوذةً محرومةً متاعَ الزوجيّة وهناءة الأمومة[1] .

= ونشط شاول لقتال أعداء الملة والجنس واستشهد فى حومة الوغى فسح الكهنة داود ملكا على البلاد ، ومع ذلك فقد لبث داود يكن البغض للملك الراحل ولأسرته التى أصهر إليها ، وما عتم أن استأصل شأفتها .

(١) ولهذا كان خطأ ما أثبته الكهنة فى ذلك السفر :

« وبنى ميكال ابنة شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدريئيل بن برزلاى المحولى وسلمهم الى الجبعونيين فصلبوهم على الجبل أمام الرب » .

(٢ صموئيل ٢١ : ٨ — ٩)

فإن أولئك الصبية المساكين الذين تخرمهم الموت لم يكونوا أولاد ميكال بل أولاد أختها الكبرى ميرب ، وقد أعدموا الحياة لأن جدهم شاول زف أمهم الى رجل غير داود ، هو ذلك المحولى .

(د) « قد أقنعتنى يارب فاقتنعت وألححت علىّ فغلبت » .

إرميا ٢٠ : ٧

وصواب الترجمة :

إيه يارب . لقد خدعتنى فجازت على الخديعة وإنك لأقدر منّى .

ولكن المترجمين الأفاضل رأوا أنه لم يكن يجمل بالنبىّ إرميا أن يجترىء على إلهه ويصفه بالمكر والخداع .

(هـ) وقرّر موسى أن يعود من مدين إلى مصر ليعلن رسالته :

« فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير » .

خروج ٤ : ٢٠

والصواب : على أحد الحمير ، فهو حمار واحد ، غير أن المترجمين وجدوا من الرّفق بالحيوان ألا تنتقلَ هذه الأسرةُ الكبيرة تلك الشُّقّة الطويلة فى أرضٍ وعيرة على حمار واحد .

*

وقصارى القول أن كهنة اليهود طفقوا يرقّعون أسفارهم المقدّسة مرّة بعد أخرى حتى ذهب الأصل أو كاد ولم يبق إلا الرّقاع .

لقد أضـــاعوا توراة موسى كما أضاعوا لوحَيه الحجرِيَّـيْن[١] .

(١) فقد تلقى موسى دعوة من ربه أن يصعد إليه فوق الجبل المعروف باسم جبل الله ليدلى إليه بشريعته . ولبى موسى الدعوة الـكريمة وصعد فى الجبل حيث لبث أربعين يوما جعل خلالها يجاذب ربه أطراف الحديث ، وكان

« يكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » .

(خروج ٣٣ : ١١)

ثم سلمه الله لوحين من الحجر نحتهما جل جلاله بيديه العليتين وكتب فيهما بإصبعه القدسية مدونا فيهما وصاياه التى أزجاها إلى شعبه المختار .

« وأعطانى الرب لوحى الحجارة المـكتوبين بإصبع الله » .

(تثنية ٩ : ١٠)

وهبط موسى السهل فلما دنا من عشيرته ألفاهم يرقصون حول معبود قديم لهم ممثل فى عجل ذهب سبكه لهم شقيقه هرون وأقام له مذبحـا يضحون عليه فأسخطه عودة قومه إلى معبودهم القديم .

« فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفـل الجبل » .

(خروج ٣٢ : ١٩)

ولم ينقم الرب من موسى هذا النزق ولم يوجه إليه اللوم والتثريب بل دعاه إلى لقائه كرة أخرى ليتسلم منه لوحين جديدين ، على أن ينحتهما موسى بنفسه وأن يدون هو فيهما وصاياه العشر .

« ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الـكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما » .

(خروج ٣٤ : ١)

فنحت موسى اللوحين وحملهما إلى ربه ، إلا أن الرب كان قد بدا له أن يتحلل من كتابتهما بنفسه تاركا ذلك لـكليمه ، وامتثل موسى الأمر .

« فـكتب على اللوحين كلمات العهد الـكلمات العشرة » .

(خروج ٣٤ : ٢٨) =

وقِسْطَ المنِّ الذى أوصى بحفظه للأجيال الخالفة[١] وهاهم أولاء قد أضاعوا قبرَه[٢] ولم يحتفظوا بشىء من آثاره سوى ذلك القانون العسوف الذى يقضى بأنه ينبغى لهم أن يغزوا كل من يصادفونه فى طريقهم من الشعوب والعشائر فى أعقار ديارهم فمن وادعهم استعبدوه ومن نازعهم استأصلوه[٣] .

= ومن دواعى الأسف أن القوم لم يصونوا هذا الأثر النفيس فضاع اللوحان اللذان كتبهما موسى فى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر ق . م قبل أن تبتكر الكتابة فى اللغة العبرية ببضعة قرون .

(١) « وقال موسى لهرون خذ قسطا واحداً واجعل فيه ملء العمر مناً وضعه أمام الرب للحفظ فى أجيالكم . كما أمر الرب موسى وضعه هرون أمام الشهادة للحفظ » .

(خروج ١٦ : ٣٣-٣٤)

والعمر : مكيال متعارف عليه بينهم ، وكان بنو إسرائيل يلتقطون المن كل صباح فيجد كل منهم على تباين ما بينهم من كسل واجتهاد أنه جمع منه ما يملأ هذا المكيال دون زيادة أو نقصان .

« ولما كالوا بالعمر لم يفضل المكثر والمقلل لم ينقص ... » .

(خروج ١٦ ـ ١٨)

(٢) « ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » .

(تثنية ٣٤ : ٦)

(٣) حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب ذكورها بحد السيف . =

لقد أضاعة قومُه فأضاعه التاريخ وغدت جمهرة الصفّ الأول من علماء التاريخ المصريّ والآثار المصريّة وعلماء التاريخ اليهوديّ والآثار العبرية يُبدون شكوكهم صريحة(١) فى تاريخيّة الرجل وفى حقّيّة القصّة التى تَروِى أن بنى إسرائيل استوطنوا مصر واستُعبدوا فيها ثم فَصَلوا منها بقيادة موسى وأن يهوه نكّل بالمصريين وأتى أعجب المعجزات لخير

= وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريما » .

(تثنية ٢٠ — ١٠ — ١٧)

(١) ومن ذلك أن وليم سى . هايز من علماء قسم الفنون المصرية بمتحف حاضرة ولاية نيويورك للفن ، قال :

وفيما يتصل بتقصى تاريخ مصر من آثارهـا ليس ثم برهان تاريخى على أن اليهود عاشوا يوما ما فى مصر ، عبيداً أو غير عبيد .

وقال دكتور فيليب حتى أستاذ الآداب السامية بجامعة برنستن :

لم يدون شىء عن استعباد اليهود فى مصر غير ما فى الكتاب المقدس .

وقال دكتور سدنى سمث أمين المتحف البريطانى وهو من أعظم الثقات فى فن العاديات المصرية :

لست اعتقد أن ثم برهانا حاسما فى غير الكتاب المقدس على أن قبائل بنى إسرائيل كانت فى مصر قبل أن تغزو فلسطين الخ الخ .

الإسرائيليين فكان يهديهم طريقهم آناء الليل وأطراف النهار[١] ، وأنه فرق البحر فاتخذوا لهم فيه سبيلا إلى النجاة وأنه أطعمهم المنّ وفجّر لهم الماء وسخّر الزنابير لمطاردة أعدائهم إلى آخر تلك القصّة التي تستمطر اللعنات في كل سطر من سطورها على أجدادنا المصريين والتي تبارك شعوذة الإسرائيليين وعدوانهم على شعوب الشرق الأدنى في القديم والحديث . ويرى أولئك العلماء الجهابذة[٢] أن هذه القصّة من ألفها إلى يائها لاتعدو أن تكون خرافة[٣] . وذهب أحدهم ، وهو العلامة النمسوى اليهودى الأصل سِجْمُنْد فرُيد[٤] صاحب المباحث المبتكرة في علم النفس ، إلى أن موسى لم يكن من أبناء العبريين كما تزعم التوراة بل كان مصريا صميما عاش في زمن أمِنْحُتِب الرابع ، ذلك الفِرعون العظيم الذى

(١) « وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم . لكى يمشوا نهارا وليلا لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب » .

(خروج ١٣ : ٢١ — ٢٢)

(٢) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء . معرب كهبذ بالفارسية .

(٣) الخرافة : حديث مستملح كاذب ، والمشهور أنها الحديث الباطل مطلقا . و « خرافة » — فيما يزعمون — رجل اختطفته الجن ثم رجع الى قومه وأخبر بما رأى منها فكذبوه حتى قالوا لما لا يصدق حديث خرافة .

(٤) فى كتابه « موسى والوحدانية » وفيه تحليل عميق للحركات المناوئة للسامية وما يعتمل فى صدور اليهود من الشعور بالإثمية . وقد نشر هذا الكتاب بعد موت صاحبه فى لندن سنة ١٩٣٩ ، وقد أحدث ظهوره دويا بعيد المدى .

طالما ضرب فى جوف الصحراء محتبسا فيه أياما يتنسّك ويتأمّل فى أسرار الوجود ، وما راعنا إلا وقد ألحد[١] عن دين قومه وصدّ عن عبادة الآلهة المحليين ونادى بالوحدانية وجعل يبُثّ بين الناس أنه لا إله إلا اللهُ وأن « أتون » أى قرص الشمس مظهرُ مجدِه وبهائه .

وكان بزوغ العقيدة الجديدة مؤْذِنا بمغيب شمس حياته فقد سخِط عليه كهنة عبادة آمون فى طيبة ورمَوه بالزندقة[٢] وثارت به مستعمرات مصر فى آسيا ومنعته ما كانت تُزلِفه[٣] إليه من إتاوات

(١) ألحد : الحد إليه : مال . ألحد فى الدين : طعن . وفى التنزيل العزيز « إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا » . الملحد : الطاعن فى الدين . الملاحدة : فرقة من الكفار يسمون بالدهرية . . والدهرى (بالفتح) : القائل ببقاء الدهر وبأن العالم لا صانع له فهو موجود أزلا وأبدا . وقال فى المصباح : والملحدون فى زماننا هم الباطنية الذين يدعون أن للقرآن ظاهرا وباطنا وأنهم يعلمون الباطن فأحالوا بذلك الشريعة لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التى نزل بها القرآن .

(٢) كان فريق من العرب يستريبون ببعض النابهين من الشعوبيين ويتهمونهم بأنهم يبطنون الكفر وإن كانوا يظهرون الإسلام ، وآية ذلك عندهم أنهم يستمسكون ببعض تقاليد الأمم التى انحدروا منها وأنهم يستمرئون من طعام العرب ما تسيغه أجيالهم .

وقد أطلقوا على من هذا شأنه لفظ « زنديق » معرب « زنده كرد » الفارسية أى المؤمن بكتاب الزند — أفستا المقدس عند المجوس من أهل فارس ، ثم شاع استعمال هذا اللفظ للدلالة على كل من كان إيمانه مشوباً بآراء زائفة ، كقول القائلين : إن السكون قديم غير مخلوق .

(٣) زلف الشىء وأزلفه : قربه وقدمه ؛

فأقوَت خزائن(١) الدولة وتدهورت أمور المملكة ثم وثب عليه كهنة أمون فاغتالوه واصطلموا أتباعه ونصَبوا على العرش من بعده زوج ابنته وهو صبيّ لما ييفع(٢) فمكّن لهم وأطلق أيديَهم فأبادوا ديانة أتون وأعادوا ديانة أمون . كان الملك القديم قد أسمى نفسه أخناتون فخلع الملك الجديد على نفسه لقب توت عنخ أمون دَلالة على معاضدته ديانة أمون .

وفى ظل هذا الإرهاب الدينىّ وبعد رجوع الباطل إلى نِصابه لم يجد موسى نُدحةً عن الهجرة من بلاده والدعوة إلى الوحدانية حيث يصادف بيئة أكثر استعدادا لتقبّل طور أرقى من أطوار التعبّد .

وهكذا نشأت عقيدة التوحيد فى رحاب البَيداء المصرية واكتملت فى بادية العرب . أما التوحيد الذى يدّعى اليهود أنهم أول من نادى به ، فليس بنابع عن نفس صافية وإيمان صادق بل كان وليد الاتحاد بين الملكية والكهنوتية ، يوشك أنْ يكون احتكارا للألوهية لا توحيدا لها .

---

(١) أقوى الرجل افتقر . أقوت الدار : خلت .

(٢) يفع الشيء : علا وارتفع . يفع الغلام . شب وترعرع .

﴿ تمّ الكتاب ﴾